

البقية

AL-THAQAFA

الطبعة : ١٩٩٧
الطبعة : ١٩٩٧

العدد ٢٨٥ المجلد ٢٢ من جوامع الأثر سنة ١٣٦٣ - ١٣ من ربيع سنة ١٩٤٤ السنة السادسة

فهرس العدد

صفحة	موضوع
١	رجال العلم ورسالتهم في
٢	الجمع ...
٣	عبد الله بن ...
٤	رسائل صليبية ...
٥	مقالة الزاوي ...
٦	الطبري ...
٧	العلماء ...
٨	العلماء ...
٩	العلماء ...
١٠	العلماء ...
١١	العلماء ...
١٢	العلماء ...
١٣	العلماء ...
١٤	العلماء ...
١٥	العلماء ...
١٦	العلماء ...
١٧	العلماء ...
١٨	العلماء ...
١٩	العلماء ...
٢٠	العلماء ...
٢١	العلماء ...
٢٢	العلماء ...
٢٣	العلماء ...
٢٤	العلماء ...
٢٥	العلماء ...
٢٦	العلماء ...
٢٧	العلماء ...
٢٨	العلماء ...
٢٩	العلماء ...
٣٠	العلماء ...
٣١	العلماء ...
٣٢	العلماء ...
٣٣	العلماء ...
٣٤	العلماء ...
٣٥	العلماء ...
٣٦	العلماء ...
٣٧	العلماء ...
٣٨	العلماء ...
٣٩	العلماء ...
٤٠	العلماء ...
٤١	العلماء ...
٤٢	العلماء ...
٤٣	العلماء ...
٤٤	العلماء ...
٤٥	العلماء ...
٤٦	العلماء ...
٤٧	العلماء ...
٤٨	العلماء ...
٤٩	العلماء ...
٥٠	العلماء ...
٥١	العلماء ...
٥٢	العلماء ...
٥٣	العلماء ...
٥٤	العلماء ...
٥٥	العلماء ...
٥٦	العلماء ...
٥٧	العلماء ...
٥٨	العلماء ...
٥٩	العلماء ...
٦٠	العلماء ...
٦١	العلماء ...
٦٢	العلماء ...
٦٣	العلماء ...
٦٤	العلماء ...
٦٥	العلماء ...
٦٦	العلماء ...
٦٧	العلماء ...
٦٨	العلماء ...
٦٩	العلماء ...
٧٠	العلماء ...
٧١	العلماء ...
٧٢	العلماء ...
٧٣	العلماء ...
٧٤	العلماء ...
٧٥	العلماء ...
٧٦	العلماء ...
٧٧	العلماء ...
٧٨	العلماء ...
٧٩	العلماء ...
٨٠	العلماء ...
٨١	العلماء ...
٨٢	العلماء ...
٨٣	العلماء ...
٨٤	العلماء ...
٨٥	العلماء ...
٨٦	العلماء ...
٨٧	العلماء ...
٨٨	العلماء ...
٨٩	العلماء ...
٩٠	العلماء ...
٩١	العلماء ...
٩٢	العلماء ...
٩٣	العلماء ...
٩٤	العلماء ...
٩٥	العلماء ...
٩٦	العلماء ...
٩٧	العلماء ...
٩٨	العلماء ...
٩٩	العلماء ...
١٠٠	العلماء ...

رجال العلم ورسالتهم
ARCHIVE
في المجتمع

<http://ArchiveBeta.Sakurif.com>

للعلامة كثرية أحمد عبد السلام الكرواني بك

الأخيرة ؛ ولكن لم تأت مشاهدات العلماء اللاحقين في
عصور تالية أن تمارست معها ، وحُصِّت على العلماء أن
يبدلوها أو يحثوا عن فروض جديدة لشكون أكثر
ملاءمة للانطباق على الواقع ، بحيث تتفق مع جميع
المشاهدات القديمة والجديدة . وحين وفق بعض الباحثين
إلى فروض جديدة تحقق تلك الأغراض هُذِلَ لها العلماء
وأبدوها ، وكما زادت المشاهدات التي تتفق معها زاد
إعجاب رجال العلم بها ، حتى وصلت هي الأخرى إلى مرحلة
النظريات ، وساد الاعتقاد بأنها الكلمة الفاصلة ؛ وظلت
كذلك حيناً من الدهر حتى اصطدمت بمشاهدات أدق
من سابقتها ، وعندئذ تحمى المدول عنها ، واقتضى الأمر
تغييرها ، وهكذا دواليك .

رجال العلم المقصودون في هذا المقال ، هم أولئك العلماء
الذين وقفوا حياتهم للبحث ، وللدراسة خواص المادة التي
تشكون منها الأشياء المحيطة بنا في هذا العالم ، والقواعد
والقوانين التي ينهي عليها سلوك هذه الأشياء في مختلف
الظروف تبعاً لتلك الخواص التي يكشف عنها العلم .
ويطلب ذلك بطبيعة الحال تحسّ دقائق مختلف المواد ،
وتمرّف تركيبها ، وطبيعة تكوينها ، وبذل الجهد في
الوصول إلى الأسباب الحقيقية التي يرجع إليها اختلاف
المواد بعضها عن بعض .

وكم من فروض وضموها في سبيل ذلك ، وأبدتها
للمشاهدات واحدة بعد أخرى ، حتى بلغت تلك القروض
مرحلة النظريات ، وظن العالم العلمي أنها تحل الكلمة

للعالم العلمى ورجال الصناعة على حد سواء ، أن التقدم الحقيقى سواء أ كان من ناحية تحسين المحرمات وإتقانها ، أم من ناحية تقليل نفقات صنعها ، يحتاج إلى أمرين : أولهما تخصيص جماعة كبيرة من الباحثين لفحص كل مرحلة من مراحل الصناعة ، بنية ابتكار التحسينات المتوسطة فى كل جزء من أجزائها ؛ وثانيهما تنظيم الإنتاج على نطاق واسع ، فصنع كل جزء من أجزاء السيارة مثلا يحتاج إلى آلات دقيقة وعمال فنيين يكسبون المصانع مبالغ طائلة ؛ فإذا كانت الآلة والعمال القاعون عليها تنتج فى اليوم ألفى قطعة مثلا ، فإن تكاليف القطعة الواحدة تكاد تنزل إلى نصف تكاليفها حين يكون الإنتاج اليومى ألفا فقط ، ومن ثم جاءت فائدة الإنتاج على نطاق واسع ، مع التخصص الذى يمحصر الجهود وبركها فى ناحية واحدة .

هذا الفريق الثالث من الباحثين يشغل عادة لحساب المصانع ، ويحيط كل منها أعماله بالكتمان الشديد نظرا للتفاهة التجارية بين مختلف دور الصناعة فى المملكة الواحدة وفى الممالك المختلفة .

هذه الطوائف الثلاث من رجال العلم كانت إلى عهد قريب قائمة بالأزواء فى معاملها ، والانصراف إلى عملها فى هدوء وسكينة ، غير عابئة بما يحرق حولها من تصرفات ، وبما يخرجه المجتمع من تقلبات ، وبما يذوقه إلتاجها العلمى من تغييرات ، بل ومن ثورات اجتماعية . وكان شعارهم الذى توارثوه ، سنيدي من كبير ، هو أن العلوم نشأت على الحياد ، ويجب أن تبقى ملتزمة هذا الحياد إذا أربد اطراد التقدم العلمى ، وأن الباحث إن هو إلا آلة ينتفع بها الجميع دون أن تكون له أدنى لإرادة خارجية عن نطاق عمله العلمى فى البحث والتجريب والإنتاج .

وليس القصد من مقالنا هذا تتبع بعض تلك الظواهر وبيان الظروف التى نشأت فيها ، والمشاهدات التى أدت إلى نقضها ، والجهود التى بذلت لصوغ نظريات أخرى تحل محلها ، فذلك ما قد تناوله فى فرصة أخرى ؛ وإنما قصدنا الآن إلى ناحية أخرى أكثر اتصالا بالحياة العملية وبالجمتمع ، وهى ناحية التطبيق .

فهناك طائفة أخرى من العلماء جعلوا مهمتهم استغلال كل كشف علمى جديد لمصلحة الإنسان وراحته ورفاهيته وسعادته وامتعه فى الحياة . فنكلا وصل العلماء السابقون إلى اكتشاف خاصة جليلة من خواص المادة ، أو صورة جديدة من صور الطاقة ، أخذ هذا الفريق الثانى من العلماء فى بذل الجهد وإعمال الفكر لا ابتكار وسيلة حماية لاستغلال الكشف الحديث فى تطبيق عملى جديد يستفيد منه الإنسان ، فيقدمونه له هدية ينعم بها ، وهو بدوره

يبدل لهم المال فى نظير ذلك عن طريق طائر الأوزان . هؤلاء العلماء التطبيقيون يهذون من مخترعاتهم ويحسبون ويستعملون من أجزائها ومن طرق استعمالها حتى يصير صنعها سهلا ، واستخدامها ميسورا للجميع لبساطته .

بهذه الوسائل العلمية نشأت ونمت وارتقت وتهدت ملابس الإنسان وأطعمته ؛ وأجهزة الإضاءة والتسخين والعلقى ؛ وآلات الحرب والرى ؛ ووسائل النقل وأجهزة التليفون والإذاعة ، وماكينات الطباعة ، والآلات ذات الاحتراق الداخلى ، والطائرات ، وآلات المراجعة ، والأمصال ، وغير ذلك مما لا حصر له من جميع ما ينعم الإنسان به من وسائل الراحة والترفيه والتسلية والاستغلال ، وإتقاء أسباب المرض ، والتغلب على العسل ، والجمتمع بطبيات الحياة وبالأفكار الجميلة للذنية العلمية الحديثة .

وهناك فريق ثالث من العلماء تخصصوا فى نوع آخر من البحث ، وهو البحث الصناعى التكنولوجى ؛ فقد تبين

تأثراً ظاهراً بالإنماء الملمس ، وإذا تلفتوا إلى الناحية العمرانية تحلى لهم الأثر الملمس واضحاً قوياً نفاذاً .

وإذا ما حولوا بعينهم والتفاهم إلى الجانب الإنساني في الحياة وجدوه كذلك قد تأثر تأثراً بالنا بالتقدم الملمس . ولكن الأثر في هذه الحالة متفاوت ، فبينما نجد اليهود العلمية قد أجهت من ناحية إلى الأخذ بيد الإنسان وتجنبيه وبيلات المرض ، وإلى تقديم مقومات النهضة والسعادة إليه ، إذاً نجدنا من ناحية أخرى قد أجهت نحو التدمير والتخريب والتفتيل والتفتيل بالإنسان على أسوأ الطرق وبأبشع الأساليب .

فاختلعت التي فرح بها رجال العلم وقدموها للإنسان بشراً بما يسدده وبكلمة ، ويرفع مستواه ، قد استغلت في كثير من الحالات لإزالة المذاب وجلب البؤس والفتنة ، وبحسب الآثار الزاهرة المدنية التي كان يفخر بها الإنسان وبره . وذلك لأنه لما قامت الحرب الحالية والجميع كله من الفريقين المتحاربين على ما أنتجه الفريق الآخر من آلات جهنمية ، افتتح الكل بأنه لا أمل في القلبة إلا لأن يتفكر آلات أشد تدميراً من آلات خصمه ، وأقوى أتراف الفتك من التي يستخدمها عدوه . وإذا بالفريقين يحشدون رجال العلم ويسخروهم لتحقيق أغراضهم . وقد اقتضى ذلك السياق أن ازداد تشتت الفريقين سياسة « الإنتاج على نطاق واسع » ، وبالتفاهم الدقيق للبحث والتحكم في عقول الباحثين بتوجيههم وجهات معينة ، بعد أن كانوا فيما مضى أحراراً في اختيار موضوعاتهم وطريقتهم والزمان الذي يناسبهم .

ثم نظر رجال العلم إلى النظم الاجتماعية القائمة وحلوا بها بطريقتهم العلمية الدقيقة الفاحصة ، فإذا بهم يجدون معظمها أجوف لا يستند إلى مبادئ قوية ، ولا يقوم على أسس معقولة ، وإذا قبله الناس لما كانوا فيه (في الفترة التي بين

لكن عاصفة الحرب الكبرى الناشئة التي اجتاحت العالم ١٩١٤ ، لما هدأت في سنة ١٩١٨ فتحت أعين الناس إلى قيم الأشياء في ذاتها وإلى قيمها النسبية ، كما جعلت كل طائفة تنظر إلى مركزها في المجتمع ، وإلى ما لها من حقوق وما عليها من واجبات ، وتنتطلع إلى تحسين حالها وإلى اكتساب حقوق تناسب مع ما تستطيع به من واجبات . فأخذ المال يعبدون النظر في شئونهم ، والرعايا وقادة الفكر يبحثون حالة المجتمع والنظم السائدة فيه ، وبالجملة لم تشد طائفة من الطوائف عن التفكير في حالها ونظامها ومستقبلها .

وكان الرأي الذي تلاقت عنده كل تلك الطوائف على اختلاف أنواعها هو عدم الرضا بالحالة على ما هي عليه ، والإجماع على سوتها ، والإصرار على عدم العودة إلى نظام الرأسمالية المتفق ، وعلى ضرورة إقامة نظم اجتماعية جديدة على أسس جديدة ، تكون أقرب إلى تحقيق مثل السعادة الإنسانية كما تصورها كل فريق على حده . ولعل رجال العلم كانوا أكثر الناس فيها وأشدهم عنفاً في استعمار الحاجة للتحسين وجهة نظرهم في الحياة الاجتماعية بوجه عام . فقد أخذوا يتسامون فيها بينهم : هل نحن محقون في الفكرة التي سادت بيننا من قديم الزمان ، والتي أساسها أن العلوم يجب أن تنظر على الحبيد دائماً ، وأن هذا هو الضمان الوحيد لتقدم العلم والصناعة وارتقاها ؟

ثم نظر هؤلاء إلى العالم وإلى المجتمع نظرة فاحصة ، فإذا هم يلحون أثر العلوم وأثر النظرة العلمية وأثر التقدم العلمي في جميع نواحي الحياة ، فلم يقتصر هذا الأثر على الناحية المادية حسب ، بل تمداه إلى النواحي الفنية والإنسانية والروحية وتحللها جيداً . فإذا التفتوا إلى الإنتاج الأدبي والفني الحديث في مختلف صوره وجدوه قد تأثر

الأخيرة بكتب جديدة ، ومقالات مهمة ، تحوى اقتراحات عديدة في هذا الصدد ، ورام جميعا يتناولون تلك الاقتراحات والآراء ، التي تبنى بالتفحص والدرس الدقيق بقية الوصول إلى خير الطرق وأجمعها . وشأنهم في ذلك هو شأنهم في جميع المسائل الأخرى ، حرية في الرأي لا حد لها ، وتقبل للرأي أنى كان مصدره ، وقرع بالحجة بالحجة وغير مراعاة ولا تهيب . فالجميع مقتنعون بأن كلا منهم قد نزه عن الغرض الشخصي ، وأنه لا يبنى فيها يسدى ويقترح سوى للصالح العامة .

ونحن نرى لزما علينا قبل أن نتناول هذه المقترحات وتلك الآراء ، بالعرض والتقد ، أن نعرض لها هو أنفع لنا ونجدي عليها هنا ، وذلك أن نلظر أولا فيما لدينا من طبقات العلماء ، وفيما أداه هؤلاء لمصر من خدمات ، وفيما لا يزال ينظرهم من نيعات : ثم نبحث في نظرة أولى أكثر نجام رجال العلم هؤلاء ، وفيما يجب على الدولة حيالهم كل ذلك يجب أن نعرفه قبل أن نحكم إلى أى حد يحق لهم أن يشتركوا مع زملائهم في الدعوة العامة ، وقبل أن نعين إذا كان ما ينطبق عليهم هناك في العالم الغربي ينطبق عليهم هنا في العالم الشرق . ذلك ما نرجو أن نتناوله في المقال التالي .

إلى حضرات المشتركين

حدثت إدارة مجلة الثقافة يوم ١٥ يولييه سنة ١٩٤٤ آخر موعد لتسديد النصف الثاني من الاشتراك عن سنة ١٩٤٤ فالرجو من حضرات المشتركين مراعاة ذلك .

الأولاد

الحرب الماضية والحرب الحالية) من اضطراب وقلق وتلهف على تغيير الحالة القائمة . وقد كان الدافع الأساسى للشعوب التي ارغضت تلك النظم الواهية الدعائم هو ما أملوه من ورثتها من عظمة قومية وتوسع استعماري ، وروح مادي وتفوق عالمي . وهذه كلها تحوى في ثناياها بذور الشقاق بين الأجناس ، ودلائل تأهب الإنسان لاقتراض أخيه الإنسان .

وأى رجال العلم كل هذا غمالم أن يكونوا مسيرين إلى هذا الحد ، لا يملكون من توجيه السياسة العامة شيئا مع أنهم عماد الحياة ورفقها في السلم والحرب . عندئذ بدأ فريق منهم يتحرك ويكتب مناديا رجال العلم أن يهبطوا من سياتهم ، ويخرجوا من عزلتهم ، ويتركوا الحياض الذي التزموه ، ويستشعروا أن عليهم واجبات اجتماعية ، وأن لهم رسالة يجب أن يؤديها بأمانة للجمع الذي يعيشون فيه ، ولا يتركوا أن ذلك يستلزم أن يكون لهم صوت مسوع فيها يجب أن يكون عليه الجميع ، وأن يشتركوا في البحث عن النظم الجديدة التي ستوضع للعالم بعد الحرب . فمن السخف أن يظنوا حياتهم في اكتشاف الحقائق وإخراج المخترعات وتنظيم الصناعة ، ثم يتركوا انبرهم توجيه ذلك كله دون أن يشتركوا معه في هذا التوجيه وفي استئلال ثمرة عقولهم على الوجه الذي يخلق مع زرعهم العلمية ، ونظراتهم الماثية ، وميولهم الإنسانية المنقولة . وعدم أن النظرة العلمية هي وعددها التي تستند إلى أسس منطقية منقولة ، وهي التي تضمن لنظام الجديد الذي يبنى على أساسها استقرارا واستمرارا ونجاحا ، وتضمن للعالم هدنة وعدالة ، وفرة وسلامة .

فإذا ما انتقلنا من ذلك إلى بحث الطريقة المثلى لهذا الاشتراك الفعلي لرجال العلم في الشؤون الاجتماعية والسياسية ، تشعبت بنا الآراء واختلفت المسالك . ولذلك نجد نخبة رجال العلم البارزين وقادة الرأي فيهم يطلعون علينا في الفترة

٢ - عبد الله نديم

كانت مرة يجلس في قهوة أيام الولد الأحمدي سنة ١٢٩٤ هـ. ومعه طائفة من أصحابه ، منهم السيد علي أبو النصر الشاعر ، والشيخ أحمد أبو القرج السنهوري الأديب اللامع ، فطلع عليهم اتان من « الأدبانية » . والأدبانية طائفة من القسولين يستجِدُون بأديهم اللامع ، وطائفة لسانهم في الشعر ، وحضور بديهتهم ؛ عرفوا بالألحاح في الطلب ، فإذا رددتهم أي رد أخذوا كفتك على اليدبة ، وصافوا منها شعراً يدل على استمرارهم في طلبهم ، واستفوا بمدحهم ؛ وقد جموا إلى طائفة لسانهم وحضور بديهتهم منظرهم الضحك في ملابسهم وحركاتهم ، فزءٌ غارج العامة ، وطلة تحت الإبط ، وحركات يدور معازر العامة كأنه حلة ، وتحريك لصلوات وجوههم كأنهم بقررة ، وهكذا . وسماها « أدبانية » جمع مخبرة لأديب . قرا على الحاضرين حتى وصل إلى عبد الله نديم ، فقال أخذها :

اسم يقرشك يا جندي والا كنتنا أمثال يا أفندي
أحسن أأوحياك عندى بقى لي شهرين طول جسامان
فأجابه عبد الله نديم على اليدبة :

أما الفيلسوف أنا مدبشي وانت تقول لي مامبشي
يطلع علي حشيشي أقوم أمشع لك لو ذان
فرد « الأدباني » ، ورد عبد الله نديم ، وخلا كذلك نحو ساعة ، ثم غلب الأدباني فأصرف منهزوماً .

وقبل السيد علي أبو النصر القصة إلى شاهين باشا كنج ، فاستطرقها جداً ، وخطرت له فكرة لطيفة أيضاً ، أن يقيم حفلاً عاماً ، يدعو فيه كبار الأدبانية والرجالين ويدخلون في مساجلة مع عبد الله نديم ، فيكون منظرًا لطيفاً ، ومغفلاً ظريفاً ، ففعل ، ونصب مرادفاً أمام بيته ، وأحضر رؤساء

هذا الفن ، وفترط عليهم أنهم إن غلبوا كافأهم ، وإن غلبوا ضربهم ، فرفضوا . واستمرت المساجلة نحو ثلاث ساعات ، غلب فيها النديم ، فسكانت الحادثة سبب شهرته بين الأديباء والظرفاء .

لقد أخذ بعضهم عليه - فيما بعد - هذا الحادث ، وعبروا به ، وقالوا إنه رضي أن يقف موقفاً يساجل فيه التسولين ، وأن يكون « أدبانياً » مثلهم ، يتأزلم ويفالهم على ملا من الناس ، قتله مثل المصارعين أمام « الزققة » ، ولا يرضى لنفسه هذا الموقف إلا وضيع النفس مافط الهمة .

والحق أن وضع المسألة هذا الوضع فيه كثير من التزميت والتعنت ، كالذي تعرض على مسامحة الفسكاهة المحولة فينقد فيها خطأ نحوياً أو لفظاً لغوياً ، ولكن ينقد الشيخ الوقور على ما كان منه أيام الصبا ، والذي الواسع التراء على ما كان منه أيام اليأس والشقاء ؛ فالمسألة لم تعد أن تكون لطيفة لطيفة ، وفكاهة ظريفة ، وقوانين الطرف الخبيث من المحبوبة في مجالسه مالا يبيحه في مجالس

أخيراً عاد إلى مسقط رأسه بالإسكندرية سنة ١٨٧٩ م في نحو الخامسة والثلاثين ، وهو أكثر خبرة بالعنينا قباقي من عظماء ووجهاء وأدياء ، وفيما رأى وسجع وعمل في القصر العالي أيام كان موظفاً في تنزلاته ، وفي التجارة أيام تاجر وأهلس ، وبأخلاق الفلاحين أيام كان يسم أولاد أحمد « محمددم » ؛ ولكنه دخلها كما خرج منها صيفر اليدبن . عاد فرأى في الإسكندرية منظرًا جديدًا لم يكن أيام كان بها ، كانت المجالس الأدبية يوم فارقتها تتحدث في عزلي أبي نواس ، ووصف البحرى ، وهجاء ابن الرومي ، ومدح الشعراء في إسحاقيل ، وفكاهات الشيخ علي اللبني ؛ فإذا انتقلوا من ذلك فإلى من عارض شعر هؤلاء من الحديثين ، وما أنشأه الناشئون من مختار المجلس في مثل هذه الأغراض ؛ ولما عاد إليها وجد المجالس تتحدث في

أبناء الفقراء والأيتام ، ووضع لها برنامج يحقق الغرض ، وتكفل هو بتعليم الإنشاء فيها والأدب ، وأخذ يترن الطلبة على الخطابة والتثليل ، وعلى المجلة فتحت فيها من روحه ، ولعلها أول جمعية مصرية إسلامية في مصر أسست لمثل هذا الغرض .

ثم وثق الصلة بين المدرسة والقصر ، وكان الخديو إسماعيل قد عزل وحل محله الخديو توفيق ، فتقرب الخديم إليه ، واستأذنه المدرسة فزارها ، ورجاه أن تنسب الرئاسة لولي عهده « هاس » فقبل . وأغرم بتأمين التلاميذ الخطابة ، فكان ينتهز كل فرصة لإقامة الحفلات بخطب فيها ، ويحضر الخطب للتلاميذ ليخطبوا ، ثم يمرتهم أن يشعروا الخطب بأنفسهم ، ويصالح خطبها ورشدتهم ، فأسس بذلك نخبة يحسنون التحرير ، ويحسنون القول . ولم يكف بذلك ، بل خرج بالمدرسة إلى ميدان الحياة العامة ، فكان يحضر بعض الزوايا التمثيلية في تقصد بعض الميوس الاجتماعية ، ويعتبرها وتلاميذها في بعض اللامه العامة ، من ذلك أنه أنشأ روتين اسمها « الوطن وطلعت التوفيق » و « العرب » ، ومثلها في « تياتو زرينيا » ، حضرها الخديو توفيق ، وجمع فيها نجاحا أعلى ذكره .

ولكن ظهر فساد في الجمعية نسبوه إليه ، ففصل من المدرسة ومن الجمعية .

عند ذلك توجه إلى إنشاء صحيفة ، وحسب إليه ذلك سابقة اتصال بصحيفة أديب إسحاق وسليم نقاش ، وصرها على الكتابة فيها ، وشعوره بأن الناس أعجبوا على كسبه ، وأنه كان يكتب فيستغل أصحاب الصحف مقالاته مادة ومعنى ، فلا يؤجرونه على ما كتب ، وكثيرا ما يشعرون عليه حتى يذكر اسمه في ذيل مقالاته ، بل يتركون القارى بفهم أنها لم ومن إنشائهم .

فأخرج صحيفة سماها « التنكيك والتبكيك » ، وفي هذا الاسم دلالة على غرضه وأسلوبه ، فهو يرى إلى تأنيب المصريين على ما وصلوا إليه ، في أسلوب قد يكون لازما وقد

قد إسماعيل لإمرافه وتصرفه ، وفي الدول وتدخّلها ، ورأى جمعية سرية تسمى « مصر الفتاة » يجمع أعضاءها فينفذون هذا كله في صراحة وحجاسة والأدب يتحول فيأخذ شكل الكلام في الأمة ومصالحها ، وآلامها وآمالها ، ويحتل ذلك مكان غزل أبي نواس ، وشعر صريع التواني ، والنفوس بفضل تعاليم « جمال الدين الأفغاني » وسحبه ثائرة تنطلق إلى نوع من الأدب غير القبي كان ، وتجد غذاها في الصحف السياسية والفتالات النقدية ، فيشتغل في الصحافة من هذا النوع « أديب إسحاق » ، و « سليم نقاش » في جريدتهما « مصر » و « التجارة » ، وعدما جمال الدين وتلاميذه بمقالاتهم وإرشاداتهم ، فأعاد عبد الله خديم نفسه للأدب الجديد والطلب الجديد ، وانغمس في هذا التيار ، وحول قلبه في هذا الاتجاه ، بعد هذه الصحف مقالاته في مثل هذه الموضوعات ، وخلق من النجاح ما لفت إليه الأنظار ، وكان له فضل كبير في إزدراك أن الكتابة في الموضوعات السياسية إنما هي أسلوب متدفق سريع مرسل لا يفيد السجع إلا قليلا ، لينسجم وحركات النفس المتحمسة الثائرة .

وقد فكر مع بعض أصحابه من أعضاء جمعية « مصر الفتاة » أن يحولوها من جمعية سرية إلى جمعية علنية ، تعمل جهاراً في الأعمال الشريفة ؛ وجدوا هو وسحبه يجمعون المال لها من أعيان الإسكندرية ، وسمنوها الجمعية الخيرية الإسلامية (وهي غير الجمعية القائمة إلى الآن بهذا الاسم) وكان من أهم أغراضها إنشاء مدرسة تعلم الناشئة على نمط غير النمط الجساف الذي تدير عليه مدارس الحكومة إذ ذاك ، فيصنفون إلى تعلم مبادئ العلوم بث روح الوطنية والشعور القوي بالأمة ؛ وقد كان هذا غرضاً جديداً دعا إليه الشعور القوي الذي كان في طور التكون .

وتم ذلك كله ، فجميع المال ، وأفتشت المدرسة ، وجعل عبد الله خديم مديراً ، وانتخبها بخطبة رن صداها في الشرق ، وكان ذلك في آخر أيام إسماعيل ، وأقبل عليها كثير من

ويشخصون مرضه ، ويقفون على أصله ، وركبون الدواب ليقت سريان الداء ، وتعلق بهم أهل المرض يسألونهم الإسراع في معالجته ، والاجتهاد في دفع مصابه ، قطعاً منهم الأطباء ، ونصحهم بالهدوء ، والتمركز عن كلوا السبب في الداء ، حتى لا يفسدوا العلاج ، واستدلوا بمثلون عشورة الأطباء ، ويبدلون المجهود في معالجته .

وواضح أن هذه قصة رمزية ، أراد أن يصور فيها شعور الناس في هذه الفترة بعد ما كان من الإسراف في عهد إسماعيل ، ووقوع مصر في الديون الباهظة ، وتدخل الدول الأجنبية ، من مراقبة تجارية وإنشاء صندوق الدين ، وما إلى ذلك ، كما يصور بها ألم الناس من هذا المرض الأفرنجي ، وأملهم في النجاة منه بسمى عقلائهم ، وتفكير أولي الرأي فيهم — كل ذلك في أسلوب دوالي مفهوم .

فكانت هذه السألة هي صميم السألة المصرية ، ومشكلتها الكبرى ، فبدأ بها على هذا النحو ، ومعالجتها هذا العلاج . فكان في ذلك في الثورية بكلمة « الداء الأفرنجي » . وفي ذلك مقال في « عمرى نعيم » ، يصف فيها شأناً من صميم الفلاحين ، علم في مصر ، ثم في أوروبا ، وعاد إلى بلاده يُسَِّقه أباه أمّا قاله على الحيلة وقبيله ، كيف يقبيله ، ويطلبه أن يُسَِّم عليه بيده فقط ، ويكتفى بأن يقول له « بُن اربيه » ، وليس لفته ، حتى اسم البصل ، فهو لا يعرف إلا أن اسمه « أونيون » — ويتختم هذا بالتمزق من القصة ، وهو أن لا أمل في مثل هؤلاء ، إلا إذا حافظوا على لغة قومهم وعاداتهم ، وصرفوا علومهم في تقدم بلادهم .

ثم يقص قصة موسرين اجتماعوا في بيت أحدكم ، دخل عليهم فوجدهم ساهمين لا يتكلمون ولا يتحركون ، وعقد فظلمهم يفكرون في أمر خطير شغل أذهانهم ، وعقد لسانهم ، كتمكيرهم في تقدم الصنائع في أوروبا ، وكيف يفعل ذلك في مصر ، أو يفكرون فيما يزيد ثروتهم ، ويضمن التقدم في عملهم ، ثم يبين بعد ذلك أنهم إنما

يكونون ضاحكاً .

وظهر العدد الأول منها في ٦ يونيه سنة ١٨٨١ ، ودعا فيه الكاتب أن يوافوه بمقالاتهم ونتائج قرائنهم على البيع الذي رسمه : « كوتوا من في الشرب الذي الزمنه والمذهب الذي اتبعته ، أفكار تخيلية ، وفوائد تاريخية ، وأمثال أدبية ، وتيكيت ينادي بقمح الجهادة ، وقدم الحرافات ، لتعاون بهذه الخدمة على نحو ماضياً به مُثَِّلة في الوجود ، من ركوب معنى الفجوة ، وإتباع الموى الذين أصلاًنا سواء السبيل » .

وفي الحق أن هذه الصحيفة كانت محمياً في موضوعاتها وأساليبها .

انظر العدد الأول ، نجد تسكيماً وتيكيتاً لا كبر المصائب التي كان يحسها ذلك العصر : مقال عنوانه « جنس طي لمصاب بالأفرنجي » ، وهي قصة شاب صحيح البنية ، قوي الأعصاب ، جميل الصورة ، لطيف الشكل ، في رقة الثياب وعذبة الكلام ، وفي عزلة ومنعة لا يتجسسك فيها مشاؤون يلتصق به أهل بزم ذؤنه وقولارونه حتى لا يفت إليه يد عدوه ولا حسيب محال — وبينما هو في ذلك تسلسل إليه أحد الماكرون ينظاهر بالمصالح والتقوى ، ويضمر الخلل والقدرة فأسفه أهل إليه انخداعاً به . فمرضه هذا الماكرون على الأسواق يريه من النوائ من تمارض الشمس بحسبها ، وتكشف البدر بنورها ، فانع حيناً ، ولشكته رأى أهل بيته قد وقعوا في مثل هذه الفتوة ، وانغمسوا في مثل هذه الضلالة ، فصار سبرهم ، وترك الفغار والإباء ، وسار في الطريق الذي رسمه الشافق الحادج ، فما صار فيه حتى أصيب بالداء الأفرنجي (الزهري) ، فاصفر وجهه ، وارتخت أعضاؤه ، وذهبت بهجته ، وغارت عيناه ، ونشوة وجهه ، وتبدلت حماسه بقياس تخفف منها الطباع ، وتمكن الداء منه وسرى في دمه وعروقته ، فصار يقلب طرفه لعله يجد من قومه من ينقذه من مرضه .

واجتمع الأطباء من قومه بنحسون الجسم ،

الزائرين ، فسأله أحدكم عن المكتبة وما نحوى ، ليعرف أى نوع من العلوم والفنون بهوى ، فقال الفنى صاحب البيت : لقد دخلت بيت فلان وفلان قرأت في مـسـيـفـة كل منهم خزانة كتب عليها ستارة خضراء وبجانبها منقضة من الریش ، والحامد كل يوم يتقضا وبمسح الزجاج والخزانة ، فقلت أن هذا طراز جديد في بناء البيوت وتانيها ، فقلت لهم في ذلك ، ولا علم لي بـمـ أو فني ، وهكذا أصبح السـكـل ناعاً في غفة التقليد .

ثم هذا كله في العدد الأول من صحيفة « التفكيك والتبكيك » ، نقد للسياسة العامة للبلد ، ونقد للمعيبوب الاجرامية الخاصة . كل ذلك في أسلوب يستريح الانقياء . فقه اللغة البسيطة السهلة عن تفكير وروية ، فقال في فاعلها : إنه لا يريد منها « أن تكون متدقة مجازات واستعارات ، ولا مزخرفة بشيرة واستخدام ، ولا مفتخرة بفضيلة لغة ولا لغة غارة ، ولا مـرـة عن غزارة علم ، ولا مـرـة بـمـرـة ، ولكن أحاديث تعودنا ، ولغة ألقا السامرة بها ، لا تلجئ إلى قاموس التيريزالمادى ، ولا تلزم مراجعة التاريخ ، ولا نظر الجغرافيا ، ولا تضطر لترحان يصبر عن موضوعها ، ولا شيخ يفسر معانيها ، وإقامي في مجلسك كـمـا مـسـك بكلمك بما تـمـ ، وقـ يـنـك تكاد مـطـلـب منك ما تقدر عليه ، و « نديم » يسامرك بما تحب وتهوى .

ثم هو يدرك أن في الناس خاصة وعامة ، وكل يجب أن يقصد إلى تـلـذـذته بالأدب وإشماره بوجوه النقد ، لذلك يختار موضوعات الخاصة فيكتبها باللغة القصدى كموضوع « اللاد الأقرنى » ، فهو موضوع دقيق لا يقدر قدره إلى الخاصة ، أما الفلاح والرابى وصناعو القصاص فكتوبة للعامة ، فيجب أن تكتب بلـغـتهم العامية . وهو في اللغة العامية ماهر كل الهارة ، يعرف أمثالهم وأنواع

اجتمعوا لتعاطى الكيف ، وأخذ « المزول » ليسكون الواحد مبسوطا لا يسأل عن الدنيا وما فيها ، فإذا « وبن » قام إلى مكان نومه ، وقضى ليلة سعيدة — وقال مـاـلـسـا ولدنيا وما جرى فيها ، ومـاـلـسـا وللصحف والتلـزـافـات ، ونحن كنـسـا بمحمد الله في غنى عظيم ، هـنـدـا الخدم الدين يقومون بأعمالنا ، وقد خلف لنا آباؤنا من المال ما لا تنفيه الأيام — فلا تخرج من بيوتنا إلا للمساخرات بالضحكات والكتكات المطيغات .

ثم قصة ترمى إلى قدم ما كل يجرى بين العامة من أحماءهم في القهوة ، وسامعهم للقصاص (الشاعر) ، وانقسامهم إلى معسكين : متعصب لعنرة ، ومتعصب لرغبة ، وما كان من أحدكم — وقد ختم القصاص القليلة بوقوع عنرة أسيراً — إذ ذهب إلى ابنه وأبقـلـه من نومه وأمره أن يقرأ في الكتاب حتى يخلص عنرة من الأسر ، وإلا مات كـمـا ، فلما لم يطعمه أبته ، وأفهمه أن هذا تحريف في تحريف ، نزل عليه بمساء حتى أمـاـلـسـا والـجـنـون فـنـيـن . وبلى هذه قصة تمثل الفلاح الجاهل والرابى المذموم .

إذ أراد الفلاح أن يقترض منه مائة جنيه ، فأعطاه سبعين ، وكتب عليه « كـبـيـالـة » مائة وعشرون ، وحسبها كما يأتي : المائة فأعطاه عشرون ، تخضع من المائة فيكون الباقي سبعين ، وتضم المائة فيكون عليه مائة وعشرون ، ويقترض الفلاح بذلك لجهله بأبسط مسائل الحساب . ثم يقدم الفلاح للرابى قطنا وقحدا غنهما الحق في ١٢٥ جنبها ، يحسبها الرابى بأربعين ، ويأطـلـه بأفلاطـا مضاعفة حتى يجعله مدينا عاتقـي جنبه وعشرة ، كل ذلك والفلاح في غفلة لا يدري ما يصنع به — فإذا عوتب الرابى على ذلك قال : ماذا أمتنع إني الفلاح حمار . وأنا أريد أن أكون غنيا كـبـيـر في خمس سنين !

ثم قصة غنى كبير بنى بيتا عظيما ، وأنته أنانا بديما ، وكان من أمانه مكتبة كبيرة ، فلما أتم ذلك كله عرفه على

الزلا، الأجانب بالحسنى، من حفظ حقوق تجارتهم، وعدم الإساءة إليهم.

هذه هي المعاني التي رأى أن الحاجة ماسة إليها في ذلك الوقت (في أول حكم الخديوي توفيق قبيل الثورة الترابية)، صاغها صياغة دينية تناسب صلاة الجمعة، فبدأها بالحمد لله، والتسابيح على رسوله، وختمها بالحديث الشريف: «المؤمن المؤمن» «البيان يشد بعضه بعضاً» — وقد حقق «الزاد» أخيراً فكرة عبد الله الخديم في إذاعة الخطبة شكلاً، ولكن لما تحقق فكرته موضوعاً. وأنشأت هذه الصحيفة على هذا الوضع.

أحمد أمين

ينبع

منشورات

«الله حرب» خلق عظيم، فأتى إذا وفكك حصاناً أو حماراً وأنى السير فقدت سيرك وتلكك القصب، وأنهت عليه صريره، وإذا أنا شئت ألكه ووقفت على تفكير في صربها، لأن ذلك لا يحدى ضميراً، بل يستفكر بهدوء وتحصنها من كل جوانبها حتى تهتدى إلى موضع الخطأ فيها، وتلك هي التربية الصحيحة.

«امتاز شرطى بسهولة فهمته على التهين من غير حيلة أو تعجيب، فسئل في ذلك، فقال: «إني أتبع نفس الطريقة كثيراً مع زوجتي، فهي إذا انتابها نوبة من الغضب وعلا صياحها — كما يحدث أحياناً — لم يكن ثمة فائدة في أن أقابل صخبها بضجيج أعلى، ولا أن أزد على كلامها بثلثها؛ ووقفت على الطريقة الصحيحة في مثل هذه الحالة، وهي أن أقابل هذه الجلبة العالية منها بهمس خافت ألفتها في أذنها، فتبرد حماسها، ويسكن ضجيجها. وكذلك اعتدت أن أهدس في أذن السكران صاحب فأخذ عليه بهذا الهدوء مسالكة، ولا يلبث أن يسلم بده. وما أخفقت طريقتي هذه قط».

كلامهم، ويضع على لسان الخادم والسيد، والمرأة والرجل، والفقير والغني، والساكر والمفتل، ما يليق به في دقة وإحكام وظرف.

ثم هو قد فعلت شيئاً جليل القدر، وهو أن التعلیم والتقد من طريق القصص أجذب للقصص وأفضل في التقدير، فأكثر منه بل كاد يلزمه.

لذلك كله نجح في صحيفته، ووصل تداؤها إلى أكبر عدد ممكن، فمن كان قارئاً قارئاً، ومن لم يكن قارئاً أصبح ففهم ولم يكتب بذلك بل تراء في عدد نال بلغت الثقافة لها خطرهما في الإصلاح السياسي والاجتماعي، وهي أن من أهم أسباب غفلة الشرق ضعف الخطابة، وانحصارها تقريباً في خطب المساجد، وهي خطب لا تمس الحياة الواقعة بحال من الأحوال، وإنما هي عبارات دينية محفوظة، ومسان متكررة مألوفة، لا تحرك قلباً ولا تضيء حياة.

فكتب مقالاً قوياً في قيمة الخطابة وأثرها في تاريخ الإسلام، ودعا إلى أن يحضر خطب المساجد القاصي بشؤون الحياة، وأقدم على التآخير، ولعله فطن من هذه الخطب الوضف المخاض في وضوح، وتبيين الأخطار المحيطة بالامة في جلاء، وأن يبرغ القادرون بقدر من المال يخصص لهذا الغرض، ويتفقوا مع ديوان الأوقاف ليسمح بإلقاء هذه الخطب في المساجد، ثم تطبع وتشر في أنحاء البلاد ليصل صدادها إلى كل قرية وبلدة؛ وأعلن استعداداً للاشتراك في إعدادها، ووضع خطبة نموذجية توضح عرسه. تضمنت هذه الخطبة النموذجية، المحافظة على حقوق البلاد، والنهي عن الظلم والفساد، والدعوة إلى الائتلاف لمواجهة الأخطار التي تظهر دلائها في الأمن، والاتحاد مع اللواتين من غير نظر إلى اختلاف الدين، والتذكير بعقد مصر السابق، والاتفاقات حول الخطيفة والخديوي، والتحذير من تمكين الأجنبي من وضع يده على سياسة البلاد، والتحرر من إتيان عمل يتخذ وسيلة لتدخله، ومعاملة

رسائل صينية

الرسالة الثالثة

« لقد قرأت حديثاً في صحيفة من صحفكم أن الهدف لأسمى
 لأم أوروبا هو أن نعدن الصين ». فإذا كان الأمر كذلك
 فإن الرسائل التي اتخذت لتحقين هذه الغاية وسائل فذة
 ولا شك . ولست آمن نفسي أن أخوض في سيرتها . فأنا
 واثق من أن السلب والتهب والغرضي والحروب والقتل
 والاقتصاب أمور لا توافقون عليها هنا في إنجلترا ، بل إنكم
 فيها أعتقد تمنونها ما استطعتم ؛ ولست أوجعها في الواقع
 إلا إلى الغرضي التي تسود فركم من سوء نظامها . إلى
 لا أذكر مثل هذه الأمور في هذا المجال لجرد إظهار
 استهجانى لها ، لأن السؤال الذي يتردد في نفسي دائماً
 عندما يتحدثون من المدينة هو : أي نوع من الرجال
 أخرجت مدينتكم للعلم ؟ وهذه المحاولات الأخيرة في
 الصين لا توحى فيها بلوح بحجاب شاذ على هذا السؤال
 ولكن لا ألق في طلب هذا الجواب ، وقد تكون المدينة
 — مدينتنا ومدينتكم سواء بسواء — مجرد قشور ، وقد
 يكون الوحش كامدا في أحضان الإنسان أبداً ومستعبداً دائماً
 لأن يتقضى على فريسته متى فتحت له الأبواب بفضل
 تدبير محكم ، أو قرصة ساعية ، إننا في هذا مثلكم على كل
 حال نحكم علينا بما نحكم عليكم به ، وما خذنا ومعايننا في
 هذا كما خذكم ومعاينكم ، ترد إلى أقوام يمددون بها لأشياء
 تنطبق عليهم أيضاً . من أجل هذا أمرت على مثل هذه
 المناظر من جيشكم من الكرام ، لأنهم أنام أحوال الحياة
 العادية . والآن أي الرجال نحن رأى الرجال أنهم حتى يحق
 لكم أن تصفوننا بأننا هج متوحشون ؟ نعم أي الرجال
 نحن ؟ إنه لسؤال صعب على أن أجيب عنه . وإلى لأقلية في
 أفكارى ساعة بعد ساعة ، يوماً بعد يوم ، فلا أجد وسيلة

أستطيع بها أن أقدم إليكم شيئاً مما يدور في خلدي من
 أثر أجدى من أن أحاول أن أرمم لكم صورة — أن
 أرسنها صادقاً أميناً ، فهي ما إلى تزال تطاردني وتلك على
 نفسي وعقلي كما برت في أيام الشتاء في شوارع عاصمتكم
 السوداء الممتدة .

هناك في الشرق البعيد جداً حيث الشمس مشرقة
 إثر افق لم ترو ، فقد اطلعتم على هذا القليل منه الذي عندكم ،
 ولستم تسموه بالدهان ؛ هناك على ضفة النهر المريض يقوم
 البيت الذي فيه ولدت ، إنه بيت بين الآلاف من أمثاله ،
 ولكنكم أكلها تقوم وسط حدائقها الخاصة ، وكلها قد نوت
 في بساطة بالأبيض أو الرمادي ، وكلها متواضعة بهجة
 نظيفة . ولأميال عديدة على طول الوادي الممتد ترتفع
 أسطح هذه المنازل ملبوة بالأزرق أو الأحمر وسط بحر من
 الخضرة الخضرة ، بينما يلعب هنا أو هناك برين الذهب الذي
 يكسوه في سائر الأماكن من بين باقات من الشجر الأخضر .
 والى الخريف القليل المديدة وقد فقس بالوارب والزوارق ،
 تطفو على بحري مائة الف رائق الصافي حركة مرور نشيطة من
 الأسواق الريفية على ضفتيه . فالفلاحون اللوقون المجهزون
 يملأون المنطقة كلها ؛ يملكون الأرض التي يحرثونها ، تلك
 الأرض التي قد ملكها آبائهم من قبلهم وحرثوها مثلهم ؛
 إنهم يستطيعون أن يقولوا إلى الأرض التي يملكون عليها قد
 صنعوها ما بأيديهم . ولك أن تنظر إليها لتبين صدق قولهم ،
 فهذه التلال الجديدة قد أصبحت كلها تتأوج من أسفلها
 إلى قممها بالخضرة الخضرة ، بالقطن والأرز والتعب والبرغال
 والشاي ؛ وهذا سفح الوادي قد ازدان بأحزمة خضية من
 ماء النهر يتساقط من قناة إلى قناة في آلاف من الشلالات
 اللامعة البراقة ، ثم يتكسر في الفتامليس ليقرق في الواووير
 ويغمر الأرض التي تقمصه حتى تنضج . وهكذا يوزع
 بالعدل والقسطناس وبلاغنى الخصب والخضرة والحياة في
 سخاء ووفرة . وإنك لتري في كل ساعة وأنت تجتاز

القناطر الصنيرة والعارق المثوية المنيرة آثار الأحيال التي
 حلت ، وإلى جانب جهود أبنائهم من عدمهم إلى أن تصل إلى
 حيث يستلم الإنسان حمار أدام الطبيعة ، وتستجلى حرمة
 يسيطر عليها أحد . وإذا التفتدوات قد كسبت كساة
 وردوا ذهبيا لأزودوا من الزهور المختلفة الأشكال والألوان ،
 زهور غنية قد تحت في وبرة منقعة بالحياة القائرة . كم
 حست هنا وسر هذا السكون ، سكوت يبع من حفته
 أني كنت أستطيع أن أنست فيه إلى خيف ظل
 الشجر يشركني الأرض كما قال أحد شعرائنا : سكوت
 لا يتوجه إلا أصوات الفلاحين يتنادون من حين إلى حين
 عبر التهر ، وإلا صوت نوافس العابد يشع في الوادي يدعو
 الناس إلى الصلاة في الفجر والغروب . أي سكوت وأي
 أصوات وأي عطر وأي ألوان ! إن الخواص أصبحا بكل هذا
 وشتم به ، بل إنها تفرق بسببه إلى درجة لا تمكن السكون في
 جز كم التباين أن تلوونها أو تلوونها ، إلى حال الطبيعة
 حولنا يسرهم إلى أمانيها يشك الزمان والمكان في
 يسبحان معه .

وإن أصبحنا نحن الصديق بأزوارنا الأصدقاء والأصدقاء
 فالدرب في ذلك واضح لكل ذي عينين . إن الطبيعة حولنا
 هي التي علمتنا ، ونحن في هذا أحسن منكم سحلا . ولكن
 مما يعود الفضل فيه إلى ذكائنا وليس إلى حسن خلقنا ، أننا
 كنا مستعدين لأن نتلقى عن الطبيعة دروسها ، ذلك أنه في
 هذا الوادي الجليل ، كالأخفى عليكم ، تدبى آلاف الأجناس
 لا يحكمهم دستور سوى التقاليد ، ولا يسيروهم قانون سوى
 قانون الأسرة . إنهم صناعون مهرة نشطوا في صناعتهم ،
 ولصنعتهم الصناعة التي لا تتكبدون لغرضها في أوروبا ؛ إنها
 صناعة الأجرى ، يعملون بها لأهلهم ولذاتهم ، يعملون بها
 على الأرض التي ورثوها من آباءهم ليسلوها من يدهم إلى
 أبنائهم ، وقد أحصوها بكدهم ورووها بحرق جبينهم ،
 ولا مطبخ لهم وراء ذلك ، فلا ينهضون أن يعمدوا التروء بمقال
 من الأحوال .

والن كان منهم في كل جبل من يترك عمله ليحوي
 العالم ، فقد كان يرحل عن الصين وعمل ، صدره أمل لا يخبئ
 في أكثر الأحيان ، ذلك هو أمل العودة إلى وطنه حيث
 ولديهم أعمامه الأخيرة بين الناطل التي أحياها في شبابه ،
 والوجوه التي كان يترها في صباه . إنه بين قوم ك هؤلاء
 لا يكون مجال للصناعات الحفيرة الحادة ؛ فلا سيد ولا
 مسود في الصين . ولكن المساواة الجمعة الفرصة الحقة
 هي التي يعتمدون عليها في مساواتهم ، وهي التي تنظم
 الصلات بينهم . إن الكد الذي يلبه الجسم والروح ، والراحة
 الكافية والصناعة الطيبة ، والصناعة التي تدرجت بحكم العادة
 في عروهم ، والتي لا ترقىها حيلالات الأطماع والجشع ،
 والحس الرزق لسكل ما هو جميل ، الذي أوحى به أجل
 ضوئ في العالم ونحته رفته ، والذي يجعل في السلوك الجليل
 والذات الرفيعة ، إن لم يجد له مفسدا لأن يتجسم في صورة
 في حاله وهي صوات قديم الدين ولدت بينهم . أيمكن أن
 يكون الكد في مساواتهم ؟ قد تكون ، أيمكن أن يكون
 الجليل قد أصبح جماله على مباح الصبا ؟ من يدري ؟
 ولكن أوقن بشئ واحد ، ذلك أن حياة كمثل التي
 وصفتها ، حياة قامت على أساس العمل في الأرض ، وبنيت
 على قواعد المساواة الحقة والعدل التام ، توجد فعلا في الصين ،
 بل إنها لتخلأ الصين طولا وعرضا في ازدهار ونشاط ،
 فأنا عندكم يا هؤلاء الذين تربدون أن تمدوننا ، حس
 تستطيعون أن تقدموه إلينا عودا من هذه الحياة ؟
 والحسناد ؟ إنه باسم هذا الدين قد ارتكبت ما لا يستطيع
 وصفه . أخلاقكم ؟ أنرى أن تمدوا ؟ ثم أن أخلاقكم
 تلك ؟ أم كاذبة ؟ وإلى أين قدمكم ؟ أين مدكم في إنتم
 صورة بكمكم أن تقدموها لقارن بينها وبين ما رسمت
 لكم من الصين ؟

هذا هو السؤال الذي سأحاول أن أجيب عنه .

وكونه صريح القلادي

يتمتع بدرجة محترمة من التتلمذ والثقافة والمدينة ...

ثم تمر الأيام ، ويصبح الشاب رجلاً عتيقته الأيام وعصرته التجارب ، فاصبح عقله ، وابتدأ بزن الأمور على حقيقتها ، واستوى فهمه فوثق من نفسه ، وأضحى تفكيره مرتباً منطقياً . في هذه السن ينظر الرجل إلى والديه من جديد نظرة احترام وإجلال ، يمل من شأنهما ، ويقدّر رافسيتهما . فإذا ما سأله عن رأيه فيهما لأجابك : « إن الإنسان لا يستطيع أن يحلّى والده حقهما عليه . إن تفكيرهما أصبح ، دائماً يصبح . وكان العناية الإلهية قد خصهما بحيز كبير من عايشها ... »

وأخيراً ماذا بقي أن يكون ، أي تبيح في والديه إذا كانا قد أملا في عمرهما . أو ماذا عساه أن يقول في أحدهما إذا كان قد سيق إلى القبر ؟ إنه يصغهما في حديثه ، يكلامهما دوراً ، وأقولها عبر . أمد الله في عايشهما ، وأقولها مرة واحدة !!

د. محمد أمين

صاحب الديار شامة

رئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر

أحمد أمين بك

...

رئيس التحرير المشرف

محمد عبد الوهاب عفيف

٢٥ في مصر والسودان

٥٠ في ليبيا ومصر والإقليم

٦٠ في الكويت والامانة خمس أنحاء العرب

٧٥ في البلاد الخارجة من اتحاد العرب

١٠٠ في الهند ١٥ في

اشتراك

شهر

متزلة الوالدين^(١)

ينبع متزلة الوالدين في أعين طفاهما حد التقديس . فها في نظره كل شيء ، وها اليد القدسي والقوة المسببة ، وجميع كل صغيرة وكبيرة ؛ وها يكونان له روحياً وإلهاماً وعزاءً ، وقوة تزيد في سروره وتنقص من آلامه ، فتجده بين رفقاء غفورا بهما ، يتيه إيجاباً لما لهما من «سعة الاطلاع ، ووافر المعرفة ، وغزير الخبرة»

فلماذا ما لبث وتوهمخ ، فتمسك لعمه الفتية ، وتفتحت فواء العقلية والماعطفية الملهية ، وانتقل من مرحلة تدريس إلى أخرى أرق وأرفع ، عندئذ يتوسل في التدريس ووبداً ووبداً ، ويبدأ في نفسه غيرة طبيعية هي خروج من القنود والاعتقاد بالنفس . فتجده يقول : « لا بد من الذي قد خبرنا الحياة ، وجرنا كثير من الصعوبات ، ولكن هناك بعض أشياء ما زالنا نعلمها ، ونستطيع فعلها في مصغرها بالكمال ... »

ثم يعمو القى ، ويضحى شاباً طموحاً متوثباً ، يتبع ألامه أجن الحياة بعد أن كان محدوداً مكرراً ، وتظهر أمامه العلوم والفنون متشعبة متفرعة ، والآراء فيها مختلفة متباينة ، هنا ، يصطدم حيله بتجارب والديه ، وتفكيره بتفكيرهما ، ومستقبله بما يحسهما . هو تشيط طموح جفوها وزبائن وقوران ؛ هو ملدفع بشيائيه وأحيطته ، وها تابان بتجاربهما ؛ هو يتطلع إلى المستقبل بنظار آماله ، وها يستمر برهن عجن للماضي . فتجده يهيم بينه وبين نفسه : « إن الذي لا يدرك مطامع الشباب وماكره ، إن أفكارها ومصالحها قديمة بالية ، إن أقاديت جيلاً مضى فلهيات أن يسترشد بها شباب جيل

(١) عن مجلة « باريد » بصرف .

الطب العربي البابلوني

أمينوفيس الثالث استدعى طبيباً آشوريا لمعالجته ، لما هدته العلة واشتد به المرض ، وعما من ازدهار الطب ورفيه عند قدماء المصريين . وما جاء في المصادر المصرية ترويه مصادر أخرى لكثير من شعوب العالم القديم التي كانت تربطها وأرض الرافدين علاقات ثقافية .

ولعل السبب في ذلك النبوغ يرجع إلى أن المصري بطمه متفائل واثق في الحياة ، أخذ بأساليبها ، كما تعلمنا على ذلك أساطير وآداب الساميين القديمة ، وعفا قدم المدينة المتخافة . السامي واثق من القدم في البقاء ، لم يفرض فكرة الفناء ، واعتقد في البعث ، كما اعتقد في الحياة الأخرى والثواب والعقاب . فحس هذه عقيدته في الحياة طيبين أن نراه يغفل كل ما في ملاحظته لجمال هذه الحياة الدنيا لمعبدته غير نسة . وسليمة غير مثقلة . وهو في عمله هذا يزدري هملاً غروب من العبادة إن لم يكن هو العبادة ، النفس . أنطلق سائر الدلائل العربية اهتماماً خاصاً موجهاً إلى السليمة والسليمة هو الاعتدال بالحس سليماً قوياً ، وبهاوية كل ما من شأنه الإفساد يحمل عضو من أعضاء جسم الإنسان أو الإنسان به ، مع الحث على الأخذ بأسباب الحياة الطبيعية غير المكتوبة أو المقدسة . الأخذ بأسباب الحياة مع العناية بحس الإنسان مغربة دينية ، إذا رغبة من الرغبات الإلهية ، وكل ما يحول دون تنفيذ هذه الرغبة ، يجب أن يكون من عمل طائفة غير طائفة الآلهة ، أعني طائفة الأرواح الشريرة . وعلماً أن هذه الكائنات شريرة وجبت إذا عاينها ، ووجبت مطاردتها ، ووجبت القضاء عليها إن أمكن . وما هي الوسيلة لمحو هذه النابتة ؟ السحر . السحر إذاً وسيلة من وسائل التخلص من الأرواح الشريرة ، أو سبادة أخرى وسيلة من وسائل العلاج والشفاء . كما أنه سبب الهداية

وتعني إذا رجعتنا إلى معاجنا اللغوية نطلب إلى البهية الإفصاح عن مدلول لفظ (طب) وأينما نطالعها بكثير من

يجمع قريبا في بيروت مؤتمر الطب العربي لتوحيد الجهود في سبيل معالجة الأمراض المستعصية ، والأعتماد إلى أقرب الطرق وأجمعها لرفع مستوى سكان البلاد الصحي . هناك رأيت من المناسب أن أفتح أمام القارئ الصحية من صفحات تاريخ الطب العربي منذ أقدم عصوره . ولأنك عذدي في أن الإلزام بمعنى ما كان عليه ذلك العلم في جزئ تكوينه ، أعني في الألف الثالث قبل الميلاد ضرورة لا بد منها الذين يعنون بتاريخ الطب وطوره ، أو تجميع الأدوار المختلفة التي مرت بها منذ ما قبل الفقهية ، سواء سبها نشت إلى وسبها الشعب يوم كان الطب شعباً ، أو أوجدها الإخصائيون لما أصبح علماً . ولست في حاجة إلى القول إن القارئ لن يظلم متى أن أعرض له في مقال التفادي الأمراض وتشخيصها ، والمقاومة وتكثيرها ، ومنعها عنها دواء ، ليسين لا تات لها : أولها أن (الطائفة) ليست هي الطبية ؛ ولكنها ليست أداً فاعلياً الذي هو من البهية الطبية الحقة الكافي الذي تنبكه من وضع الأعطاء واصطلاحات اللغة الطبية القديمة في أسلوب عربي حديث . وإذا آوت العرب البابليين الآشوريين على سواهم من سائر الشعوب العربية الأخرى التي قامت لها في الجزيرة العربية وخارجها حضارات ومدنيات ، فإنما لقناء التراث الذي وصلنا من سكان الرافدين ووجوهه ؛ فما نعلمه اليوم منهم بفضل أعمال الحفر التي تقوم بها الجامعات الأمريكية والأوربية في بلاد العراق وماجاورها ، يفوق بكثير ما نعرفه عن معظم الشعوب العربية الأخرى التي عاصرت البابليين الآشوريين . وقد رعت في الطب لعلى والاستعداد المعطى السكمن في المنصر العربي ، أو إن شئت تقل المنصر السامي ، لزاوية الطب والنبوغ فيه تدور وراء منذ القدم أسس الأماكن وأرضها . فالتاريخ المصري القديم يحددنا أن فرعون مصر

وأطرافه ، ومن أشهر هؤلاء الآلهة الإله (بتجيزدا) ، ومن حسن الحظ فقد نُقِطَ على رمزه ، وهو عبارة عن عصا التف حولها ثيمان . ومن كان يدور بهلده أن الثيمان شعار الطب والأطباء في عالمنا القديم والحديث يرجع إلى هذا الرمز العريق البابلي لا أنما السر في اختيار هذه الأفعى فهو الاعتقاد بأن الثيمان باستبداله ثوبا (جلدا) يتوب يحدد شبله ، فيكتسب حياة جديدة ، فالثيمان إذاً خالد أين ثوبه ، لذلك قدس قدماء ، وأخذ كرمز من رموز الحياة الأبدية . ولم يحض زمن طويل حتى أخذ الطب الشعبي الرواسق يفسح الطريق لطب آخر يعتمد على الخبرة والتجارب أكثر من السحر والشعوذة ، أعني الطب العلمي . وأهم المصادر التي يعتمد عليها رجال الطب الحديث اليوم للدراسة هذا الطب العلمي ، هو الفلوسوفية القديمة ، ومن أهمها تلك التي تقع عليها في مكتبة الملك الآشوري (أشوربانيبال) ، ولو أن هذا الكتاب كان قد بقي يداني اهتمام شريحة ضواري من الحضارة الحديثة من المواد المتصلة بالأطباء والممارسين ، لكانت له أهمية عظيمة في فهمنا لهذا الطب القديم . وأهم هذه النصوص التي تمتع عليها في مكتبة (أشوربانيبال) هي تلك التي عرضت فيها بعض الأمراض والعقاقير ، وكيفية تحضيرها وطريقة استعمالها ، فقد وصلنا مثلا نص مسم إلى ثلاثة أمثلة ، في العمود الأول الدواء ، والثاني الدواء ، والثالث طريقة استعمال الدواء . مثلا : حفور كبد الشمس - لشفا وجع الأسنان - توضع على الأسنان . ومن مراجعة هذه النصوص وتلك التي نُقِطَ عليها في سجلات الحكومة الحديثة (القرن الثالث عشر قبل الميلاد) ، يتبين لنا أن الطريقة التي كانت متبعة عند وضع الرابح الطبية هي تقديم المادة حسب أعضاء جسم الإنسان ، هذا كرمز أولا الأمراض الخاصة بالرأس وهو الرأس ، والأدوية الخاصة بدماغها ، ثم ينتقل إلى الصدر ، فالأذن ، فالعين ، فالصدر ، وقد أسهبت النصوص التي

الماني التي ترجع إلى تلك العصور الفائرة . وصاحب الكتاب يروي لنا أن العليب هو السحر ، وقد قال ابن الأسيوطي : ألا من سُلِّع حشيش على أُنْطَب كان ذلك أم جنون ورواه حبيبويه أسحر كانت طِبُّبُكَ ، وقد طَبَّبَ الرجل ، والطبيب المسحور . قال أبو عبيدة عما سعى السحر طَبَّبًا على الثغائل بالبر . وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه احتجم بقرن حين طَبَّبَ . قال أبو عبيدة طَبَّبَ نبي سَاحِرٌ ، يقال منه رجل مطبوب أي مسحور . وفي الحديث : فطلب طَبَّبًا أسماء أي سحرا

وإذا كان الرض من عمل الشياطين ، فالمعالج يجب أن يأتي من عند الآلهة . والأسطورة البابلية تعتقد أيضا أن الإله (إننا) هو رب الحكمة وإله المعرفة ، وهو الحد الأكبر للأطباء . والإن (إننا) كما سم أيضا هو سيد البحر والأمواه ، ومن لاء جعل الله كل شيء حيا ، فالحجر ، الماء ، أو كما يسميه بابلية (أسن) هو الطبيب ، والأدوية عبارة عن علم الطب ، وعن اللغة البابلية : السحر . وفي سائر اللغات الهندية كالآرية والآرية والصندية والآسية العربية متنوعة مفرد السندواة والملاح ، وأما الجُرحُحُ أشوا وأسا : دواء ، والأسو والأساء جميعا الدواء . الجمع آسية ، قال الخطيب في الأساء يعني الدواء .

ثم الآسوان أم الراس لنا أو كلها الأطباء والأساء والآسي الطبيب . وإذا قمنا هذه المقابلة في الكتاب وجدناها مستعملة في معناها الأصل المتصل بالماء ، فقد ورد والآسي ماء بينه ، قال الرازي :

ثم يُسَرُّ لشفاء من زُحْمٍ على الآسي يُعْفَقُ القُرُونَا لكن الماء ليس هو الدواء الوحيد الذي يحتاج إليه أمراضنا وجروحنا ، لذلك تجد إلى جانب الإله (أيا) آلهة آخرين اختص كل منهم بعلاج مرض خاص ، فبهم الإخصائي في علاج اللحم والأسنان من سائر أعضاء الجسم

ومن الحيوانات والطيور : الفم ، الحبر ، الثعالب ، النعام ،
البحر ، القرين ، البوم ، الحظ ، ومن المعادن : اللازورد ،
والكبريت ، والنجاس ، والمخ ، ولم تشمل هذه
المقايير بحائها الطبيعية ، بل كانت النباتات مثلا نجفت
ثم دق دقة مختلفة حسب الحاجة والوضع . أما النار
أو البقول فسكانت تقشر ثم تعصر وتخرج أو تناول على
حدة . وكان الدواء يستعمل إما من الظاهر وإما من
الباطن ، سواء كان سائلا أو جامدا أو فريحا ، والسوائل
كانت تتعاطى غالبا باردة ، وأنسب الأوقات لتجربتها
الصباح قبل الشروق أو في الليل ؛ وكانت لا تشجر
دفعة واحدة ، بل توزع على ثلاث مرات ؛ وفي بعض
الحالات كان يكرر الدواء في مدة تتراوح بين ثلاثة أيام
وسبعة . أما الأدوية التي كانت من الباطن ، فقد استعان
الطبيب على توصيلها إلى الداخل بالفتحات الطبيعية
أو عن طريق الجلد في جسم الإنسان مستخدمين أحيانا بعض الأنابيب
التي تصنع من الخنزيرة .
دكتور فزار حسن

مكتبة نادي الصحفيين

http://www.egyptianlib.com

تولى على مكتبة نقابة الصحفيين الهدايا العلمية من
المجلات الحكومية ، وأعلام الأدباء والمؤلفين ، وكبار
الناسخين ، معاملة لها على تحقيق رسائلها الثقافية . ومنها :
مجموعة من مجلس الشيوخ لطبوعه ومضابطه من عهد
مجلس شورى القوانين إلى سنة ١٩٤٣ .

مجموعة من مجلس النواب لمضابطه من سنة ١٩٣٤ إلى
سنة ١٩٤٣ ، ومجموعة من الجمع القوي : جلته ومخبره
ومصطلحات العلوم التي أقرها .

وأعداه مدير قسم النشر بالسفارة البريطانية طائفة
من الكتب العربية والإنكليزية والفرنسية .
وأعدها مكتبة النهضة المصرية ٣٥ مجلدا من نفائس
مطبوعاتها الحديثة .

والنقابة تشكر لحضرات رؤساء الهيئات والمجامع
والأعلام المؤلفين وكبار الناسخين مصلوهم المذكور

عثر عليها في وصف أمراضه ، فمن حي إبلنة : إلى سعال ،
ومن تنفس في الحلقين إلى وسع في الظهر ، وقد يكون
كل ذلك مصحوبا بإيلام وضوءة في التنفس وضيق في
الصدر ، إلى جانب الدم الذي قد يصحب به بسان المريض
أحيانا ، وحتى يبلغ المريض هذه المرحلة في رتبته سديد ،
ومن ثم الرئة اليسرى يسيل دم منقي . وبعد ذلك يجد
عرضا دقيقا لأعراض أخرى إبلنة متعددة ، كتثاق التي
تصيب المعدة أو القلب أو الكبد أو الطحال . ومن
الجدير بالذكر هنا أن الطبيب العربي الباطني نبه إلى العلاقة
بين داء الصفراء وأمراض الكبد . وفي نصوص أخرى
حديثا طويلا عن الأمراض الجلدية والتناسلية وأمراض
الرحم والحبل والوضع . وقد اعتنى رجال السمايات إلى
نصوص كتاب كامل خاص بالأعصاب ، وفيه كلام كثير
حول العضلات والأمراض التي تنشأ عنها ؛ ومن أمثلة ما
به أن أعصاب الفخذ إذا لم تقو على مساعدة صاحبه على
القيام أو السير فهي مريضة ، وقد يكون ذلك قد أصاب
الظهور عند عاهلين ؛ ومن عوارض هذه المرض : سعال
الدم على الحلق ، ويكون في الساق وحز كرحل الإبر ، وإذا
كانت هناك حرارة في القدمين فيشعر المريض بتقلعها ولن
يستطيع رفعهما ، أما إذا انقلبت أعصاب القدم فلن يستطيع
للرخص السير ، وإن تقدم به المرض أصيب بالسكساج .
أما طرق العلاج المختلفة ، فهي العمليات الجراحية ،
والتدليك ، والحركات الرياضية ، والبخور ، والاستحمام
بالماء الساخن ، إلى جانب المقايير المختلفة المعروفة من
النباتات أو الحيوانات أو المعادن . أما النباتات فيظهر
أنها قامت كما تقوم اليوم بالدرء الهام في تركيب الأدوية ،
حتى أصبح اسمها في البالية (سم) عتفا على الطب والمقايير
أيضا ، وهذا المعنى انتقل اللفظ إلى معظم اللغات السامية
(سم) . ومن أشهر النباتات والأشجار والأعشاب التي
كانت مستعملة قديما للتخيل ، أوبتون ، التين ، الكفري ،
الثوم ، البصل ، السكون ، الفناء ، السمسم ، الورد والر .

من رسوم كتاب « رسوم دور الخنزير »^(١)

العمائم

رُسُوم لبسها ونزعها^(٢)

« في دور الخلفاء والأمراء والسلاطين وبحضرتههم »

نهر

قبل قديماً : العمائم لرجال العرب . وقد وصفها أبو
الأشود القدسي بقوله : « حُشَّة في الحرب ، ومِسْكَةٌ
من الحر ، وصفة من الحر ، ووفار في الندي ، ورواقية
من الأحداث ، وزبادة في القامة ، وهي تعد عادة من عادات
العرب » . وقال حمزة بن عمار القيس :

يَا مَسَالِرَ وَالشَّيْءُ الْمُعْتَمَرُ قَدْ

تَحْضُرُ بَعْدَ عَمَدَتِنَا وَأَنْتَ بَارِعٌ
فِي ذَلِكَ رَاضٍ وَأَوْفَى الْخَلْقِ

فهذا خير وصف يصور لنا العمامة ومزركها عند
العرب ، وهو الذي يفرزها ويقيسها ، ويحرص عليها
حرصه على سيله وإبله . والعرب لم يكتفوا بلبسها ، بل
نمى الأمر إلى أن يستفيدوا منها من غير هذا الوجه ،
« لأن العمامة رعاياها لها لماء » ألا ترى أن الأحنف
ابن قيس يوم « مسعود بن حمزة » حين فقد عيَّس
ابن حنبل في الثوب ، إنما رجع عمامته من رأسه فمقداه له ،
ورعا شدة هوا بالعمائم أوساطهم عند المهددة وإذا طالت
العطية ، ولذلك قال شاعرهم :

(١) رسوم دار الخلافة خلافة بن الحسن العباسي (الفاوي سنة
١١٨ للهجرة) ، وهو كتاب أهداهه للوزير أبي خلفاء وعقدا
فيه ، وألحنا به ملاحق مربعة .

(٢) مجلة الرسالة الأحمدة : (١١٥ : ٢٩٩ و ١٥٢) .

(٣) البيان والتبيين للجاحظ (٢ : ٦٩ : طبعة المنهوري)

كُوفِئْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ كَالْبُرْجِ حَارِطِي

تَشَدُّ عَلَى أَصْحَابِنَا بِالْعَمَامِ

وقال آخر :

خَلِيلِي شَدُّوا لِي بِفَضْلِ عِمَامَتِي

عَلَى كَيْفٍ لَمْ يُسَقِ إِلَّا تَحْيِيْمَهَا^(١)

وأخبار العمائم مما يطول شرحه وييسر مثاله في مقال ،
لأن أخبارها مشهورة في كثير من الكتب العربية القديمة ،
مقتلاً عن أن غير واحد من المؤلفين الأقدمين والمحدثين
أفرد لها كتاباً طاعاً بذاته^(٢) .

ومرادنا في هذا البحث أن نتناول رُسُوم لبسها
ونزعها في حجرة العطاء ، وفي دورهم ، فإن في ذلك طرفة
أدبية وتاريخية .

المرحوم الشيخ المصطفى في دور العطاء ولخصرتهم

كان من الرسوم القبة عند دخول الناس على الخلفاء
وفي الأمراء ، وعلى السادة والعطاء ، أن يدخلوا وهم
مستوفون باللباس ، وكان أشبه بالاحتفال والتمطير والإحلال ،
وأبعد من القبول والاسترسال ، وأجدر أن يفصلوا بين
أنفسهم في منازلهم ومواضع احتياضهم^(٣) .

ولكن بعض الناس وبينهم من له جلالة ورئاسة ،
كأولاد الخلفاء ، دور العطاء ، من خلفاء وأمراء وسلاطين
أقضاء أشغالهم ، ولم يراعوا الرسوم المقتدة بشأن العمائم

(١) البيان والتبيين (٣ : ٧٢) .

(٢) تحفون منها الكتب التالية :

(أ) فضل لبس العالم لابن وضاء الأندلسي القاسمي .

(ب) حكمة الامة بأحكام العمة — أبي العباس — لا في

الفضل محمد بن أحمد المعروف بأبي الإمام .

(ج) ذو العمامة في دار الطليان لعماد الدين أحمد بن حيدر

الحبشي الشامي .

(د) خارج القفا الكمية في صفه العمامة لعماد أحمد بن

عماد القاسمي .

(هـ) المحطة في أحكام سنة العمامة لمحمد بن جعفر السكاك

الحبشي .

(٣) البيان والتبيين (٣ : ٧٧) .

٢ - تزعم العمام في دُور العطاء ويحضرنهم :

« لعلّ الطليقة المأمون كان أكبر العطاء تساهلاً في
الساح لمن يقضى مجالسه بشرع العامة ، ولم يكن ذلك في
مجلس أنيس وراحته غيب ، بل تمتدّى الأمر إلى
مجالسه الأخرى . فقد نقل لنا السموذى حكاية جاء فيها :
« وكان يعيّن أنكم يقول : كان المأمون يجلس المظاهرة
في الفقه يوم الثلاثاء ، فإذا حضر الفقهاء ومن ينظره
من سائر أهل القالات ، أوجعوا حجارة مفروشة ، وقيل
لهم : اتزعموا أخفافكم ، وأحضرت الموائد ، فقبل لهم
أصباؤهم بين الطعام والشراب ، وحشدوا الوضوء ، ومن
ضاق عليه حقته فليمنعه ، ومن ثقلت عليه فليطهّره
فليضعها ، فإذا فرغوا أنوا بالجواهر فيخروا وتطيّبوا ، ثم
خرجوا فاستندام حتى يكون منه ، ينظرهم أحسن مناظرة
وأصفاء أبدها من مناظرة المتجبرين . فلا زال كذلك
إلى أن استول الشيب ، وتغيّرت المسألة ثانية فيطعمون
المنظرين » (١)

« ثم أم الفرج الأصفهاني بدأ آخر في هذا
الشأن ، قال فيه : « حدثني محمد ، قال : حكّنا
أبو القتيبة ، قال حكّنا محمد بن عبيد الله الهلبي ، قال :
« لما مات أبو عيسى بن الرشيد (سنة ٢٩٠ للهجرة) دخلتُ
إلى المأمون وعمامتي علي ، فتلّفتُ هماسي وتبدّتها وراء
ظهري - والمظالم لا تغزّي في العمام - ودسّوت .
فقال لي ... » (٢)

أما في ديار الأندلس ، فكان التساهل كبيراً في رسوم
تزعم العمام في قصور العطاء ، ويحضرنهم : وشاهد ذلك
قول ابن سعيد (المتوفى سنة ٤٨٥ للهجرة) في المشرب :
« إن » الغالب على أهل الأندلس ترك العمام ولا سيما في

التي خدّمت الخلفاء والأمراء والولاة ، ويرى في
آداب الخدمة رؤسومها : عدة أخبار في هذا الباب ،
وكانه رواها لتكون موعظة لبلية وسبباً لمهتدة لمن يهتم
بالدخول على دور هؤلاء العطاء . قال هلال : « حدثني إبراهيم
ابن هلال جدّي ، قال : « حدثني السكّني أنا عليّ الحسن
ابن محمد الأنباري » قال : « كنتُ أخطب بين يدي دُرّويه
السكرت ، وهو يتولّى كتابة سلامة أبي نجح (الظاهر)
الملقب في أيام القاهر بالله بالوُثق ، وسلامة إذ ذاك حاجب
القاهر بالله ، وكنتُ أجلس في دهليز باب الخامة الذي
يلي دهليز من دار السلطان ، فأخدم صاحبني فياستخدمني
فيه : فأني لجالس متعلّق على دُكّة هناك ، إذ جعلتُ
لإحدى رجلي على الأخرى ، وكان بإذني صديق لي من
خلفاء المستجاب بوّدي ودّاً شديداً ، فوثب إلى وضرب
رجلي خربة مؤلمة بعضاً كانت في يده ، فمقت متلهوفاً
فقال : يا أبا عليّ ، اعرف لي موضع مساحني بالمال ، وادع
لو أن هاهنا من أتخوف أن يزعم ينظره ، فسادف
عليّ مساحنت . فقلت : وأين لي . ألكم كذا ؟ قال :
شيء ، مساحني ؟ - فقال : نحن مأمورون إذ رأينا أحداً
من الناس كلهم قد جلس في دار السلطان هذه الجلسة
التي جلسنا ، ووضع إحدى رجله على الأخرى ، بأن
يجوز رجله من موضعه حتى نخرجه من حريم الدار . ونهايتي
عن الماودة إلى ذلك ، وعن أن أكشف رأسي ، أو أنبذل
أو أخرج ، أو أرغف في شيء من تلك الماوضع . فشكرته
على ما غفاني به وأرشدني إليه » (١)

هذه قبضة أخبار ، في جميعها منع ، وتحريم الدُور
المام بحضرة العطاء ، وفي دورهم ، ولكن لكل قاعدة
شواذ . فهناك أخبار أخرى تنمّ على تساهل وتسامح
بشزع العمام في دُور هؤلاء القوم أو بحضرتهم : ودونك
ما وقفنا عليه :

(١) صروح الذهب (٧ : ٣٨ - ٣٩ : طبع باريس) .
(٢) الأمان (١٠ : ١٩٠ : طبع دار الكتب المصرية)
= (٩ : ٩٧ : بولاق) = (٩ : ٩٢ : الناس) .

(١) رسوم دار الخلافة (المخطوط : ص ٤ - ١٠ - ١١ - ١٢) .

فصل:

بسم ١٠٠٠

فقال الطبيب جديده ، وأزاح عويصاته الزجاجية في عصبية ، وهو ينظر إلى الباب وقد كان يصد برفق ، ثم تنهات على القعد الكبير الذي يواجه المكتب ، وراح يفكر في هذه اليد المرامشة التي أوصدت الباب ، وصاحبها ذي الوجه الأصفر الممتنع ...

إنه يتعاقب في تسرع رهيب نحو القبر ، ودماؤه تنسحب رويداً من كل أطرافه ، تاركاً خلفها ذلك الانصراف الباهت ، وتتكشف في قلبه لكي تجمد هناك . وهذه المروق التي صربت أطرافها الدامية في عصابة كأيدي الأحماليط ، وتطاوت ترمع دوائر زرقاء حول مقلتيه . إنها إنذار خفيف ...

أي قوى في العالم تستطيع أن تقطع ذلك الحبل الضخم الذي يشده إلى المحاولة ... بل أي معجزة ... كان الطبيب يعرف ما هو اليأس ، وكان مستعداً دائماً لأن علائمه ، هذه الراحة الفكرية التي تلاد منها حين شرق الأندلس . وقد رأيت عزير بن خطاب أكبر عالم عرسية حضرة السلطان في ذلك الأوان وإليه الإشارة ، وقد خطب له بالذك في تلك الجهة وهو حاسر الرأس ، وشبه قد قلب على سواد شعره . وأما الأجناد وسائر الناس فقليل منهم من تراه يعمه في شرق منها أو غرب . وابن هود الذي ملك الأندلس في عصرنا رأته بجميع أحواله ببلاد الأندلس وهو دون حمامة ، وكذلك ابن الأحمر الذي معظم الأندلس الآن في يده ^(١) .

(بنياد)

منازل عماد

(١) الرسالة (البند ٣١٤) من (١٣٠٩) ، قلا من المغرب في حل العرب .

يصبح الرجاء عيباً ، ولكن هذا الشاب ...!! إن كل كلمة قادها كانت تنهال على ضميره كالسيوط ، وتغلا أذنيه بصيحات مختلفة مدنية ، وأصوات مبالغة كنتك الآتية من بيت يحرق ...

يأس !! أية جزمة إذن يرتكب ... أخذ يستعيد في ذاكرته كل ما قاله ذلك النفس : « أشمر يا دكتور كأنني لست من هذا العالم ، الدنيا مصفرة في وجهي ، وكثيرا ما تنقلب إلى ظلام . والناس من حولي يموجون وبسخيون ، ولكن لا يصل إلى أذني من ذلك إلا طنين كطين الذباب . وكثيرا ما تمر بي لحظات أقعد فيها الشعور ، فإن أفقت أحس برأسي كقعا من الجحيم ، وكثيرا ما تدعني أيضا رغبة ماحية إلى الهلاك فأبكي حتى تنفد دموعي ...

عالمتي يا دكتور شعور خفي ، وبلاستيقي في كل شيء أسطوري ، بأن الناس يكرهوني ويذرونني ويشتمونني ، وأنا ... وأخفي نفسي عن عيونهم وحدي كنبود ، في كرههم إليهم وكرهت نفسي ...

أنا أعيش في جحيم لا يطاق ، ولطالما نظرت إلى المرأة تخيل لي أنني جثة بلا روح ، وأن ذلك الهيكل الذي لم يعرف من الشباب غير اسمه ، قد أصبح شبحاً من الأشباح . لحقت على الدنيا ، وجعلت المرأة كي أعيش بعيداً حتى عن نفسي ...

أنا لأعرف يا دكتور ما الذي يذبحني ، وكل ما أعرفه أنني إنسان ناقص لا يصلح للحياة . فترقت الموت كاللاجئ التائه يربق الشاطئ . ولكن الموت لا اقرب من خشيتي كما أخشى الحياة ، وكرهته كما أكره الناس ، ووجدتني أفر منه وأهزول كالجدول لاخشي من شبحه ...

أنا معذب يا دكتور بين الحياة والموت ، واليقين والشك ، والأمل واليأس ، فأنت إليكم أخيراً لكي تريحي وتعلمتني . هل حياة أم موت ؟

منشدة أخرى تحوى أصناف الأدوية والعقاقير ، ولكنه أشاح بوجهه ، ونظر في الأرض التي تحت قدميه ، ثم تمتم : كل هذا لا يتبع ...

ونجاة أفاق الطبيب من خواطره على صوت قرع الباب ، فسمع في دحول الطارق بالدخول ، ففتح ، وظهرت من خلفه الممرضة بوجهها الساذج الصبياني ، وثوبها الأبيض الأنيق ، وظلت منه في استحياء تشويه ذلة مستحبة أن يأذن لها بالانصراف إلى بيتها . فتهلل وجهه لهذا الحيا الضبوح . وأذن لها بما طابت في صوت شجي الثبرات ... وخرجت الممرضة بطرية تتوارد على شفيتها الرقيقتين عبارات الشكر التي يخفيها الحياء فما تكاد تسمع ، وأوصدت الباب خلفها ، وابتعد صوت الحذاء وهو يوقع على الأرض نغمة واحدة تتكرر حتى اختفى ...

وتقلب الطبيب حينئذ مرة أخرى ... ولكن ما لبث رفة حتى شاعت على مجاه ابتسامه مشرقة ، ونهض نجاة في حمة وهو يصيح : يجب ألا يموت ...

ثم خرج وأوصد الباب ... في هدوء ...

وهنا سكنت صديقي برهة وهو يقص على هذه القصة ليساني بها في مرضي ، فشوقني سكونه إلى معرفة ما انتهى إليه الزميل المرضي . وقالت له أسمعته : ثم ... ؟

قال صديقي : ثم في اليوم التالي أفرد الطبيب نفسه الشاب حجرة مجاورة لحجرة الفحص ، وابتدأ في علاجه .

قلت : وهل اغتدى إلى ذواء يناجيه به ؟

فابتسم الابتسامه خبيثة وقال : نعم . كان يعطيه ماعقتين بمدكل وجبة ... من الماء القراح .

لقد وجد في غرفته الجديدة ، كل ما كان يكرهه في

بيته ، وجد ذلك السكون الذي كان يفرغ منه إلى

ضم الطبيب ما بين حاجبيه ، ثم منقط بأصابعه الرهبة على عينييه ، كأنما يريد أن يحدو من غيخته تلك النظرات الهالعة الضاربة في مهبى ذلك الشمس . وحات منه التفاته إلى خزائن كتيبه حيث تجمعت كل ما توصلت إليه القول من دقائق هذا الجسد العجيب ، وكل ما عرفه البشر من معجزات الطبي . هنالك بين طوايا الكتب آلاف من أنواع الباسم ، ومن العقاقير أصناف لا تحصى ...

ولكن ... كثيرا ما تعلق على كل هذا وتغلبه علامة استفهام كبيرة ، تراقص أمام عيني الطبيب كإبسماء ساخرة من فم شيطان ! فما الطب ، وما الكتب ، وما الأدوية ، وكل ألوان البراعة البشرية ، أمام هذا المثلث الذي يتدس أحسبا في جوف ذلك الإنسان المقدس ، وتنفث أعراض الموت في جسم لا يعثر فيه الطبيب على علة ... ؟

ابتدأ اليأس من جديد بفتح ذراعيه الزعيجين لتعبر بهما ، فيبتشله من عذباء الفكر في هذه الراسة التي يستمرها جسد البت - إن كان لأنيك يحدو في رقاده مثل الراسة التي ينشعها الفانوس في وسط السرير ما تقلصت أساور وجهه ، وأرتقم في ذلك الخطب الرهيب الذي بين شفتيه عناز شديد ، ثم انصب في عذوبة وهو يتمن محققا . يجب ألا يموت ...

وخطا في حجرة الفحص بضع خطوات ، ثم رجعه مرة أخرى ، وعاد يجلس على المقعد الكبير وراح أيضا يفكر . أحل ! يجب ألا يموت . ولكن ... أي معجزة من معجزات الطب تعطيه الحياة ؟ لقد قال له الآن أن يعود في النساء ، فإذا عساه يقول له في النساء ؟

ورفع الطبيب رأسه إلى السماء كأنما يستمد منها العون ، ثم عاد يجول بنظرة في حجرة الفحص الهادئة . فهذا هو السرير الذي يتقدم عليه المرضي وقت الكشف ، وهذه

منشدة بالأي وبالباضع والماسك والفاقت القطن ، وهنالك في الزاوية آلات الأشعة والكهرباء ، وتلك في الوسط

في طريقه ، لأنه البلم الذي لم تنثر إليه أبدا كتب الطب
واهتمت أكثر منه بزيت الخروع وكبد الحوت ...
والذي ينظر إلينا السيدلة ساحرنا إذا طلبنا إليهم
تخصيره ، وهم معذرون لأنهم يحولون نسبة مزج الأسماك
والأفرياذيات التي منها يتكون ...

كان الطبيب يتبع أحاسيس مريضه ، وهذا يدور
بعييه في عرقته ، وقد ظل أسبوعا يدور بعبييه بحثا عن
ذلك الشيء الجديد الذي يحس به ولا يراه ، حتى عثر عليه
أخيرا ، نعم عثره وعرف مصدره ... إنه كامن في تلك
النظرة الطويلة الحنون التي تنرقها في عينيهم مرضته الجديدة
حين تسقيه كوب اللبن في الصباح ...

وسمع الطبيب تحكة طروية لم يسمعها من قبل ، فاسترق
الخطى إلى حجرة المريض ، وفتح الباب فقرأ بعيدا عن سريره
في ركن من أركان الغرفة ، وخدها متوردان وهو يسميع
سبحات نشوي جنة ، وقد راح يلاحق مرضته ، باحثا
أينما يمكن ... من شفتها ...
يقيم الطبيب ، وخرج بغم ... لقد تمت المعجزة ...
وأوسد الباب ... في هدوء .

قال صديقي وقد كنت أناؤه من المرض : أرأيت ...
قلت : نعم لقد أحب . أما أنا ... نزيه نزيه

إدارة البلديات العامة

تقبل المطامات بمجلس طنطا البلدي
حتى ظهر يوم ٢٢/٦/١٩٤٤ من
توريد ٦٥٠ أردبا من الشعير ورفق
المطامات بتأمين ابتدائي قدره ٣٪
من قيمتها وتطلب الشروط من المجلس
المذكور على ورقة دفنفة ٣٠٠
مليا .

٢٣٠٥

الضوء ، فترد هذه مرثيا إلى السكون ؛ ووجد الظافة التي
كانت تصب في عينيه سوادا رهيبا فيرغمي بين أحضان الدور ،
فنهول روح الخفاش التي فيه إلى الظافة ؛ ووجد الجنودان
التي يضيق بها صدره الضطرم ، فيندفع إلى الفضاء الفسيح
الذي يترق أنفاسه مثل ثقل الماء ، فيكر راجعا كاتريق
يضرب يديه على وجه البحر ، ويطلق بنفسه بين الجنودان ؛
ووجد نفسه التي حاول أن يفر منها قد لاحتته صائخة في
أذنيه بصيحات الحياة والموت ، واليقين والشك ، والأمل
والياس ... كل ما هرب منه من متناقضات غرق
روحه وجمده في بيت الطبيب ... ولم يجد عليه إلا
شيء واحد ...

شيء واحد وجدته مقاربا كل النافذة لكل مارآه من
أشياء ، شيء أشعره بأن هنالك ستارا كثيفا ينظيه ،
ووراء هذا الستار سر ، شيء أحس بأنه -- دون أن
يلم -- كان يبحث عنه ولا يجده ، شيء تسرب إلى نفسه
كذلك الشعاع من ضوء الشمس الذي يترق بقوة حالكة
السواد ... لقد أحس بهذا الشيء أول الأمر ولم يعرفه ،
أحس به أول الأمر إحساسا غامضا لم يعرف كنهه ، ولم
يعرف بالضبط مصدره من هذه الشبكة الممتدة في كيانه
كأسلاك البرق ، فما كان يشعر منه إلا بمثل ما يشعر به
شخص غرت في جسمه إبرة مورفين . كان يشعر بتخدير
يمت في نفسه رخاوة لذيدة ، ولكن هذا الإحساس ما لبث
أن قوى وابتدأ يقبته ...

وكانت الدنيا ينفث تشكلا أمام نظره بألوان قوس
قزح ، متتابعة ، متعددة ، زاوية ، ويختلط اللون والحياة
في مزيج عجيب كان يسكوه ، ونمر صور اليقظة أمامه كأنها
الحلم ، والأحلام تراقص في عينيه كأنها حوادث اليقظة ،
وتتداخل الأحاسيس في بعضها فلا يشعر منها إلا بانشوة
السكران ، والسماء في جسمه تتواثب وتمدو ...

وكان الطبيب يتبع كل هذه الأحاسيس في عيني
مريضه ، وكان يعرف من قبل ذلك الشيء الجديد الذي وضعه

مخطوط نقبیس

كتاب الفاضل
في الآداب والبلاغات

لأبي الطيب محمد بن إسحاق بن يحيى الأعرابي الوشاء

عثرنا في المكتبة الخالدية في بيت القدس على مخطوط
نقبيس رقم ٣ باسم «الفاضل في الآداب والبلاغات» لابن
الأعرابي المعروف بالوشاء. وقد جاء في آخر الكتاب
(فرغ من نسخة الثمان بقين من ذي القعدة سنة تسع
وخمسين وخمسمائة^(١))، فيكون عمر الكتاب اليوم سبعمائة
وأربعمائة وسبعين سنة.

وقد انتقلت ملكية الكتاب أكثر من مرة، ويظهر
أن هذه النسخة القليلة كانت ملكاً لسراج بن بحر الدين
عبد بن سراج اللطفي^(٢) ثم البارودي انتهى كان من أبحاث
بلاده في الفقه والقراءات والأدب، وله تصانيف منها شرح
الأربعين النووية سماه (نشر الفوائد الأربعين النبوية في أثر
فوائد الأربعين النووية)، وجنة الجازع وجنة الجارح،
وسد باب الضلال وسد باب الغلال في رجة الغزالي، ونظم
قصيدة في القراءات السبع بوزن الشاطبية، مات عامدين
سنة ٧٨٨ وله ثمان وستون سنة، وقد أخذ عنه ولده عقيل
الذي مات سنة ٨١٤^(٣). هذا وقد ظهر خط سراج على
الصفحة الأولى من الكتاب، كما ظهر خط ولده عقيل،
وانتقل الكتاب بعد ذلك إلى عبد بن علي القرشي اللطيف
والحسن بن علي الحسيني سنة ٩٩٣ وغيرهم.

وقد تبين من دراسة الكتاب أن المؤلف قد ألف

(١) يترؤعا البش وسبأ.

(٢) نسبة إلى منطقة بلدة قريبة من ديار بكر تشتهر
اليوم بقلها.

(٣) شذرات الذهب الجزء السادس ص ٣٠١.

كتابه لم يأت على ذكرها ابن النديم، حاشا الكتاب
الخامس، أما الكتب فهي:

١ - الرنقي في حسن عفو الأدباء عن هفوات
الأخلاء.

٢ - أخبار بني هاشم.

٣ - الإبتهاج في الصبر المؤدي إلى الانفراج.

٤ - البلاغة من ومايا المختصرين ذوي الآراء
والعقل الراسين.

٥ - القلائد في أخبار متفرقات الولائد.

٦ - البلاغة من سائر المعجم وما يؤثر عنهم من
بارع الحكم.

٧ - البلاغة من ذوي الرشاد في حسن وصايا الأولاد.

والمؤلف هو أبو الطيب عبد بن أحمد بن إسحاق الأعرابي
الوشاء أحد الأدباء الطراز، وكان نحوياً معادماً لمكتب العامة^(١).وانتقل عليه تصانيف كتب الأخبار كالشعر والقطعات،
وله من الكتب: كتاب مختصر في النحو، كتاب جامعفي النحو، كتاب المقصور والمدود، كتاب المذكر
والمؤنث، كتاب الفرق، كتاب خلق الإنسان، كتاب

خلق الفرس، كتاب المثلث.

وأما كتبه الأدبية الأخيارية فهي: كتاب أخبار صاحب

الزنج، كتاب الزاهر في الأنوار والازهر، كتاب الحنين إلى

الأوطان، كتاب حدود الطرف الكبير، كتاب الموشى^(٢)،

كتاب أخبار المتفرقات، كتاب السلوان، كتاب الموشح،

كتاب سلسلة الذهب^(٣). ويلاحظ من هذا أن كتاب

أخبار المتفرقات هو ذات الكتاب الذي يشير إليه المؤلف

في كتابه الفاضل. وقد جاء في معجم الأدباء ج ١٧ -

(١) لم عثر على هذا الاصطلاح إلا في ابن النديم، وتتهم من
ذلك أنه مكتب يؤمه من شاء من الطلاب.(٢) طبع هذا الكتاب في مصر باسم كتاب الطرف والطرفاء
سنة ١٢٢٤ في الطبعة الحسينية.

(٣) انظر فهرست ابن النديم ص ١٢٦.

ذوي المروءة من أولئك قرأت متمك الله بالسلامة، وحيالكم
بالزفة والكرامة، ما كنت تشككيه إلينا في كتابك من
قلة الثقة في أصحابك، وسأنتك من معانة تلون الصديق،
وسرعة ملل الرفيق، وتقل دالة الحميم، وسراسة خلق النديم.
وسأنت أن أختار لك نوعاً متادياً كرمنا تستعين به على طواري
غموك، وتنبه في مشكاتف همومك، وتفرغ إليه في سهرك،
وتدعو إليه عند تحريك، وتعتمد عليه في أمورك، وتستعده
لسرورك؛ فأريت استغراق الجهد في ذلك عوزاً، ووجدان
من ترفض خلافة له لئلا تترك عسراً. وأحسنت أن أخبرك
بتدريج بروقت متقلبه، وبسرك خبره، وتعليق مشاهدته
وتشكر عبادته، وإذا دعوه أسرع، وإذا حدثك أمتع، وإذا
سألته أجاب، وإذا تكلم أصاب، وإذا استنقته طلق،
ولا يهتك عسراً، ولا يحمك عسراً، يلقى عنك مؤنة الحشمة،
فأقبل على المال والحرمه، أستعدي به منك دوام الإخاء،
وأوجب به عليك جيل النساء؛ فقصنت لك كتاباً في البلاغة
والإيجاز والبراعة، مختصة بوجزات الخطب، ومختصبة بلاغات
العرب، مما حفظ من تليق كلاماً، ومختصر ألفاظها، وموجز
خطبها، وراعة أدبها، ونادر حظ أدبها، ومسرّع جوابها
ومعجب بدائنها، إلى بلاغة البلاغة، وبراعة الفصحاء،
وجواب الأدباء، وإيجاز الخطباء، ومحاوره الخلفاء، وتهادي
القطر، ومكاتبة الأمراء، ونوادر الشعراء، وحصافة ذوي
الأدب، وتمامة أذهان الكتاب، ورواية عقول النساء،
وتكامل أدب الإمام، ونظمته بما انتظم به من الحكم الحفوة
عن حكماء العجم، ووصايا المتقربين، وحكم المجانين.
وقدمت ذكر بلاغة العرب على غيرها من الناس، لتقديمها
على سائر الأجناس، ولأن الله تعالى ذكره قد شرفها برسوله،
وفضلها بشريعته، وخصها بالخطاب المعجز، واللفظ الوجز،
والسؤال للشافق، والجواب الكافي؛ فهم أمراء الكلام،
ومعادن العلوم والأحكام؛ إليهم ترد البلاغة، وعندهم تؤخذ
القصة؛ فالناس يلتفتهم مقتدون ولا تارهم تبعون، وترجمته
بكتاب الفاضل لقضه على كل كتاب، وأرسلت به إليك

ص ١٣٢ أن أبا الفرج بن الجوزي يقول في تاريخه إن
أبا الطيب الوشاء مات سنة ٣٢٥، وله ابن يعرف بابن الوشاء
ولم يذكر تاريخ ميلاده.

وأبو الطيب ابن الأعرابي هذا النحوي الملم غير أبي
عبد الله بن زياد المعروف بابن الأعرابي المقنوي الكوفي،
ويب الفضل الضبي، وصاحب كتاب النوادر^(١) والمتوفى
سنة ٣٤٦ هـ^(٢). فالنحوي الملم هذا ينقل عن ابن الأعرابي
المقنوي الأدب ويروي عنه أكثر من مرة، وبينهما قرن
كامل كما لا يخفى.

وقد اشتمل الكتاب على ٣٥ باباً من أبواب البلاغة عدا
المقدمة، فبحث في صفة البلاغة، وفضل القصاحة، وبلاغة
الخطباء، والرفود والأسارى، وبلاغة البلاغة، والسن، ومكاتبات
ذوي الأدب، وبلاغة الحكماء، والخلائف الأموية، وخطباء
بني هاشم، وبلاغة المومنين والمتقربين، والمتقربين والعلماء
والمجاهدين، والنظرات، والذم والثناء، والتمجيد، والثناء
والعلماء الخ الخ. وبالجملة فلم يترك باباً بلا طرفة
وإنما نكتفي هنا بأن نورد مقدمة الكتاب كالمقدمة

لأسلوب المؤلف، الذي يمثل أواخر القرن الثالث وأوائل
الرابع. ويرى أسلوبه في هذا الكتاب وكتاب الموشى تشابه
كبير، ولكن هذا الكتاب أغزر مادة وأغنى قيمة.

قال: (بسم الله الرحمن الرحيم، وبه أستعين، أحمداً لله
في ظل أهداء السلامة بفاك، وحجب عن غير نوابه الدهر
نعمك، وجعلك تستحق شيوخ النعمة ولأمل الأفضال منك
موتلاً، ومتمك بوفاء هو وأودائك، وبلفك النافذة من تأميل

(١) لدى كاتب هذا القليل نسخة من الجزء الأول من هذا
المخطوط الفرس. ويتألف هذا الكتاب من جزئين، والجزء الثاني
منه مفقود. ويقول البرهسور برهان في كتاب له في سنة ١٩٣٨
إن الكتابين (الفاضل والنوادر) فريدان لا وجود لنسخة كاتبة
منهما على ما علم.

(٢) ترجمه ابن خلكان ص ٩٤٢ — وترجمه الأديب في
طبقات الأديب ص ٢٠٧. كما ترجمه ابن النديم. انظر ص ١٠٢
وذكر كتاب النوادر من جلة مؤلفاته.

أغنية

[على يا حبيب هذه ليثنا قهيا ليلي]

لَيْلَةٌ سَمَتْ كَأَخْلَامِ الْوَيْدِ
نَشَرَ اللَّيْلُ بِهَا طَيْفَ الصَّبَاحِ
أَبْلَجَ الْغَدُ كَأَجْلَمِ السَّمِيدِ
يَهَادَى فَوْقَ أَجْفَانِ الْبَلَّاحِ
طَافَتْ الْقَرْحَةُ فِيهَا بِالْشَيْدِ
سَمَّيْتُ الْأَخْلَامَ فِي ذَلِكَ مَبَاحِ

يا حبيبي هذه لَيْلَةٌ عِندِي
أَنَا فِيهَا طَائِرٌ مَلْنَقُ الْحَنَاحِ

الْمَبَا وَالْحُبُّ وَالْحُسْنُ مُعْنَا
وَالثَّنَا التَّمَنُّعُ مَشْبُوبُ الْعَيْنِ
وَقِيَانُ الْبَيْتِ نَشْوَى حَوْلَنَا
فِي دَلَالِ الْمُنَى بِالْقَدْرِ الْعَيْنِ
وَصَوْتُ الْمُنَى بَيْنَ أَطْيَافِ النَّسَى
ذَابَ فِي أَكْوَابِهَا نَوْدُ الْوَدَّاحِ

يا حبيبي ليثنا حُفْمُ السَّيِّ
أَنَا فِيهَا طَائِرٌ مَلْنَقُ الْحَنَاحِ

آه قَدْ أَذِنَ صَوْتُ الْمَشِيدِ
وَأَتَى الْفَجْرُ بِأَفْرَاحِ النَّسَاءِ
يَكْشُبُ النَّوْدَ بِحُفْنِ الْأَغْنِيَةِ
وَيَغْنُصُ اللَّيْلُ عَنْ يَسْتَرْ النَّسَاءِ
لَيْثِي لَا تَنْقُصِي بَيْتَ الْخُلْدِي ! !
فَأَنَا مَا زِلْتُ مَحْضُوبُ الْمَرَاغِ

يا حبيبي ليثنا مِلْكُ بَيْدِي
أَنَا فِيهَا طَائِرٌ ، مَلْنَقُ الْحَنَاحِ
محمد البرص

ليلة مقبرة

من رحي وجدة

هذات سورة الضجيج من الحسى هوى فى غيابة الأضلال
غير تسمع الكلاب ذود حفاظ وعواء يشق صدر الظلام
وحفيف الأشجار همس فى النفس غناه ورقة وانسجام
هل ترى الريح ساقها عث الخا تف تسرى كشبة الأوهام
وعلى النهر للشعاع انكسار وبمآته صدوع انكلام
قهقهت موجة تداعب سدا ساخرأ من تعاقب الأعوام
واسوداد الشاطئ يكجحه اليه لى وقد سال دمه التهامى
عد أهدابه من الشجر المنا لى ونخل كجود فى الظلام
وسرت موجة تقول لأخرى كم مررنا بشامخ وركام
كم جذوع هوت هلا كالإى جذ فليل زها بحسن قوام
وعلى الأفق نثرة من غيوم حجب اليدر بعينها بلاثام
أين سلمى خلت ديارى منها أمدها بأروع قلبى الظلام
فى سكوت الدجى وحت سهام النور توجى من فضيل النجم
شهد الدهر حفلة زيتها رفقة بين عماريس الأضلال
وحفيف الأوراق فى الأفق زارت شاعرا قاطنا جحيم غرام
عاش فى هامش الحياة غريبا فى قصور شيدت من الآلام
قونه لذمة التشاكي وفى كفا س لناداته لحب هيام
أبوى الله جين وزع خير الـ أرض لم يقض لى سوى إلامى

ضياء الرضوى

بداد

لا ممثنا به عليك ، لتجعلنا بدلا من المجلس ، وخلفا من الأتيس .
وقد صدرت ما ضمنت لك من ذلك كلاما جزلا فى صفة
ألسنة البلاغة ، وفضل الفصاحة والبراعة . فقف على ما فيه
من فضله وثبتت فى معرفته ومقدار نبيله ، لتعلم إذا أنعمت
الاختيار أنى قد أحسنت لك الاختيار . انتهى .

وستنشر فى فرصة أخرى بعض أبواب من هذا
الكتاب النفس . وأنا للرجو أن نوفق لطبعه ونتميمه
فى يوم قريب . بيت المقدس أحمد سامح الخالدي